مواعظ من نهج البلاغة

السيد بهاء الموسوي

المواعظ في نهج البلاغة

سيد بهاء الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الموعظة مهمة في حياة الانسان ، وركيزة لعودة الانسان لربه ، وتذكرة لمعاشه ومعاده . والناس وفق تلقيهم الموعظة وتفاعلهم معها الى اربعة أقسام :

القسم الاول: المتردي

الذي لا يسمع الى الموعظة بالأصل ، يبتعد عنها وينوء عنها لسببين :

السبب الاول : الغرور والكبر وإعجابه بما يملكون من مؤهلات يظنون إنهم بامتلاكها يمكن أن يستغنون عن الموعظة .

السبب الثاني : الجهل بإنهم يحتاجون اليها ، وهذا الجهل المركب الذي يعبر عنه الامام عليه السلام "إن الناس اربعة رجل يدري أنه يدري ، فذلك العالم فاسألوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك الناسي فذكروه ؛ ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك الجاهل فعلموه" . فالذي لا يدري ولا يعلم إنه لا يدري فهذا الانسان يحتاج الى الموعظة لكنه لا يعلم إنه محتاج اليها وهذه هي المشكلة الكبيرة والتي يمكن التعامل معها على مستويين :

الاول : إنك تحسسه وتشعره أنه محتاج الى موعظة .

والثاني : تعطيه الموعظة ، وهذا الذي تعامل به امير المؤمنين(عليه السلام) عندما تعامل مع بيئته التي كان يعيش فيها . لذا تعالى يقول لنبيه الخاتم (**فذكر إن نفعت الذكرى**) ، فالتذكير هي الموعظة والنصح والارشاد ، بالمقابل (**وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى(١٠)سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى**) [الأعلى : ١١] ، وهنا ينقسم الناس الى صنفين في التعامل مع هذه التذكرة(الموعظة) :

- الذي يخشى ، يخشى على دينه واخرته فهو سيذكر .

- الاشقى ، المتكبر المغرور الذي يأبى للأخذ بها ، فتعبير الآية دقيقة للمتأمل قالت {يتجنبها} لم تقل (سيتذكر لكنه لن يطبق) ، بل قالت(لا سيتجنب التذكرة) ، وهذا هو القسم الاول الذي تحدثنا عنه .

لذا كلما سمعت موعظة طبق هذه الآية على نفسك ، فإن استجبت للتذكرة فأنت من اهل الخشية ، وإن تجنبتها فأعلم إن بك علامة من علامات الشقاء -والعياذ بالله تعالى- فهذا قانون إلهي علينا ألا نغفل عنه في حياتنا .

[إذا القسم الاول هم الذين يتجنبون الموعظة ويبتعدون عنها ، ويميلون الى سبيل الغي دون سبيل الرشاد]

القسم الثاني: المتعظ الغير منتفع على المستوى العملي

هو الذي يسمع الموعظة ، يذهب لمجالس الموعظة ، وقد تأتي اليه وهو من اهل الاصغاء والاستماع لكنه ليس من اهل التطبيق والعمل ، والمطلوب من اي مستمع لأي موعظة على المستوى العملي لينتفع مما يسمع من مواعظ هو تطبيقها على نفسه ، أن يرى أين هو من هذه الموعظة ، إن كانت تبشير لأهل الايمان والتديين او إنذار لأهل المعاصي والعناد والاسراف .

فأهم ثمار الموعظة هو الانتباه ، لذلك أنظروا الى مواعظ القرآن الكريم ستجدونها في بعض الأحيان الناظر لها بالنظرة الاولية/الظاهرية سيجد فيها شيء من القسوة والتقريع لإنها تريد أن توجد في داخل نفس الإنسان التنبيه . وهذا شيء طبيعي حتى في عرف الطب ، إن الامراض كلما آلمت صاحبها كلما قلت خطورتها ، لأن الألم يدفع الإنسان الى أن يعالج ، والى أن يذهب الى الطبيب . [فالألم هو بمثابة تنبيه ، هذه نقطة جدا مهمة]

ومن هنا يقال إن الامراض الخطرة كالسرطان أين تكمن خطورته ، ومشكلته؟ بأنه يصيب الانسان دون أن يصاحبه ألم ينبه بحصول الاصابة ، حتى يفتك ببدن المصاب ويصل للمرحلة الاخيرة الخطرة وهو لا يشعر . كتاب الله اسس لنا اساس الفلاح والبشارة وقال(**فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**)[الزمر :١٨]الفاء هنا في (فيتبعون) هي فاء النتيجة ، أي لما أستمع الانسان ميز وعلى إثر ذلك أتبع .

فليس صحيح الاكتفاء بالجلوس بمجالس الوعظ والارشاد لإن الغاية ليست أن تكتفي بذلك فقط ، ولا يكفي أن يجلس ويميز الانسان بين الكلام الطيب والخبيث ، إنما المطلوب هو بعد التميز لابد من وجود مرحلة ثالثة وهي المرحلة الممدوحة في الآية من خلال الاتباع والاخذ بالطيب وترك الخبيث ، أي ترتيب أثر على ما استمعنا ومميزنا وأخذنا .

تعالى يقول(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ**) [الصف :٢] ، وقال : (**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) [محمد :٢] ، فكتاب الله تعالى يركز على هذه النتيجة المهمة وهي مرحلة الاتباع بعد الاستماع ، فالمرحلتين الاوليتين بما فيهما من القدر العظيم عند الله تعالى لكنهما ليسا الهدف والغاية النهائية .

لذا فعلى كل إنسان أن يقيس نفسه وفق هذا الاساس القرآني ، هل هو من اهل الاستماع والتأثر الظاهري فقط كما قال تعالى : (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) ، ام هو من اهل التطبيق العملي للمواعظ؟ [**إذا القسم الثاني هو المصغي للموعظة المتقبل لها لكنه لم يستـــــــــــــثمرها مع إنه حصلها**] .

القسم الثالث: من يتفاعل مع الموعظة لكن بشكل مؤقت

وهذا القسم من أهل الإستماع والتطبيق لكن مستوى التطبيق يكون ليس كاملاً ، بل قليلاً اي تبقى معهم فعالية الموعظة لزمن ثم تزول(فترة وجيزة) . إذ احيانا الموعظة تغيير بعض السلوكيات لكن التغيير يكون مؤقت وليس تغيير

جوهري مستمر ، أي أنه يترك فعلا سيء مثلا أو معصية ما على اثر موعظة أو كلمة وجهت له او سمعها من أب او أخ او صديق فتركها على اثر ذلك ، لكن تعلقه القلبي بها لا يزال ، وقناعاته نحوها لازالت هي هي فحبه لهذا الفعل لا زال موجود وتعلقه بها ، لذا فتركه آني مؤقت ، والدافعية الباطنية لا تزال موجودة ومن الممكن جدا أن يعود لها ولفعلها .

الإمام علي (عليه السلام) اوصى إمامنا الحسن : [أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا . . .] (نهج البلاغة : الكتاب 31) فالكلام هنا كله منصب على القلب ، الذي هو القطب الذي يقود هذا الانسان ، هو مصدر القرار ، ومصدر الاختبار الذي يميز بين الجنة والنار .

وهذا الصنف يكشف لنا نقطة مهمة وهي إن المطلوب هو الاستمرار ، كتاب الله يمدح قوما ويثني عليهم لا لأنهم آمنو ولا لأنهم عملوا صالحا فقط ، بل لأنهم استقاموا على ذلك ، بقوله :(**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** . . .) [فصلت : 30] .

نعم قالوا ربنا الله ، لكن الاهم إنهم استقاموا على إن ربهم الله تعالى ؛ فالكثير يقول ربنا الله تعالى ، لكن قلة من يستقيمون . تعالى يقول للخاتم(صل الله عليه واله) ، قال تعالى : (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) [الشورى : 15] فالاستقامة نقطة جدا مهمة الى درجة إن الله تعالى يخاطب ويوصي نبيه بذلك لأن قيمة الموعظة بإن تجعلك من المؤمنين المستقيمين ، لا المؤمنين المترنحين بين هذا وذاك .

لذلك المشكلة التي يواجها الشيطان مع الانسان هي ليست إيمانه بل استقامته التي لم يبلغها هذا القسم من المتعظين – يسمع ويأخذ ويميز ويعمل بها إلا أن الموعظة لا تدوم في قلبه– ترى بعضهم يسمع قول الامير(عليه السلام) " كفى بالموت واعظ" كأن يدخل المقبرة يلين قلبه ويترطب جنانه ، إلا أنها لا تدوم ما أن يخرج من المقبرة حتى يخرج من الموعظة .

لذا كتاب الله عز وجل مدح القوم الذين يستقيمون وتبقى معهم متقدة على مدى طويل في الحياة ، وقد تطرقنا لقول الامير(عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام [أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة] فهذا إشارة دقيقة منه إلى أن الموعظة يجب أن تغير القلب قبل القالب ، يجب أن

تغير باطن الإنسان قبل الظاهر ، لأن التغيير في الباطن يسهل على الانسان أن يستقيم .

فالقرآن الكريم مرة يتحدث عن الذين يعملون الصالحات فيمدحهم ، ومرة أخرى يتحدث عن الصالحين ، ويأمر أن يكون أهل العمل الصالح معهم ، لان الصالحون هم الذين تمحضة ذواتهم في الصلاح ، فصار من السهل عليهم أن يستقيموا ، ولذلك من وجه قلبه لله تعالى ، من كانت قبلته رب العالمين لن يسهل عليه تحويل وجهه الظاهري للمعاصي والذنوب .

امير المؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة عندما تحدث عن الموعظة في قصار كلماته الحكمية قال [من أيقن بالخلف جاد بالعطية] اي أن الانسان الذي أيقن بقلبه واصبح المعاد فيه يقينيا وتمحض القلب بالمعاد سيسهل عليه أن يجود ويعطي ، وبما أن البذل والعطاء سهل ، فالامتناع أسهل ، لذا الامر بالأصل متوقف على القلب .

لذا الصنف الثالث يراد له أن يكون قريب من الموعظة ، في (كتاب من وحي المناسبات للشيخ اليعقوبي) ضرب مثال بالنار والمتأثر بها : فالنار لما تقربها من الخشبة فتوقد فيها حرارة ثم تشتعل ثم ما أن تبعدها عنها تنطفئ ، هكذا بعض الناس طالما

كانت قريبة من الموعظة هي تبقى متقدة ومستقيمة ، ومتى ما زالت الموعظة عنه يصبح بارد ويصيبه الفتور ، وهذا الصنف ليس سيء ولكن هناك من هو أحسن منه .

لذا ما يُراد من هذا الصنف الذي أخذ بالموعظة وتأثر بها وعمل بها ، لكنه لم تستقر فيه وبالتالي لم يستر عليها ، هما أمران :

الامر الاول/ الارتقاء بالنفس للأحسن ، اي أن يُرقي مستواه في الانتفاع من الموعظة فيرتقي الى مرتبة الانتفاع المستمر أي أن تدوم في قلبه ، وإن كان مصدرها بعيد عنه .

الامر الثاني/ التغذية الدائمة للقلب بالموعظة ، أي إن كان يعلم إن إستمرار وإستقرار الموعظة فيه لا تكون إلا بالتواجد قرب مصدر الوعظ عليه أن يكون دائم السماع للموعظة فلا يتركها .

والنبي الخاتم قد شخص هذه الحالة كما ورد في حديث عنه (صلوات الله عليه) (بالإسناد المذكور) **إنه سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا ، وَشَمِمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ ! قَالَ :" لَوْ تَكُونُونَ أَوْ قَالَ : لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ**

عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلاَئِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ " .

ومصادر الوعظ متنوعة ومتعددة كالتدبر بكتاب الله ، التأمل بالأدعية والاذكار ، مطالعة كلام النبي و العترة الاطهار . فالمستمع للموعظة والباقي فيه أثرها وإن كانت المواعظ وسماعها غير موجود هذا يصبح كالجمرة المتقدة بالنور ، هو في البدء أخذ من الموعظة حتى تشبع ، فصار هو جمرة محرقة أي أصبح متعظ ويعطي الموعظة .

القرآن الكريم قد طرح هذا القسم في سورة الزمر بقوله :(**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**)[الزمر :23] .

الآيات الكريمة صنف من اصناف الموعظة إلا أنها من ارقاها وأنقاها وأقربها للإنسان ، فكتاب الله يعبر عن نفسه بنفسه بأنه موعظة ؛ إلا أن مرض الإنسان والموت كلها مواعظ ، الأنسان الفقير الذي يمر عليك ، ما تراه من تقلب الاحوال وتصرف

الايام ، صعود الدني ودنوا الصاعد ، انعزال الملك وتملك المعزول ، صحة السقيم وسقم الصحيح كلها مواعظ تمر على الإنسان .

والإنسان بطبيعته يتفاعل أولاً مع الموعظة بجوارحه أي المواعظ المحسوسة التي يراها ويسمعها ولكن المهم هو ما هو الاثر الذي تتركه فيه(**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ**) ، فترضخ وتستجيب(**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ**) فهذا هو طريق الهداية الحقيقية .

وخذها تذكرة :

من يقرأ القرآن الكريم ويمر على آياته مرور الكرام عليه أن يقرع جرس الانذار في القلب ، فليس هيناً على الإنسان أن يقرأ القرآن كقرأت أي كتاب! نحن لا نتحدث عن التدبر والتفكر والتبحر فيه ، بل نتحدث عن مرحلة طبيعة تأثرك عندما تمر من آية من آياته الكريمة هل تتعظ من آيات العذاب فتستجير بالله منها ، وإذا مررت من آيات التبشير والنعيم يدخلك الأمل والفرح على قلبك؟ بلى ليس هيننا أن تقرأ كتاب الله ويصيبك الاعتياد على رؤية كلمات الله وآياته بلا توقف او تأثر ، فهو مصدر هداية لمن اهتدى به ، فعن الإمام علي (عليه السلام) : "عجبت لأقوام يحتمون لطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار!" (تحف العقول : ٢٠٤)

فإذا دخل للمعدة شيء من السموم أسرعنا الى الطبيب ليغسلها ؛ أما إذا أصاب القلب شيء من السموم من يغسلها؟ وكيف نغسلها؟ ومن هنا الموعظة كفيلة بكشف العلة وإعطائنا الدواء لاستكمال فضائل النفس .

[إذا هذا القسم اخذوا بالموعظة لكن بمدى قصير فلذلك لم تستمروا معه]

فلماذا قالت الآية(. . .**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** . . .) ، إن اللين للقلوب والجلود لأنه بالمقابل هناك صنف لا تلين قلوبهم لذكر الله تعالى ، كما في قوله : (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**)[البقرة : 74] ، فأين من قلبه كالحجارة من القسوة و من يلين او يكون قلبه ليين؟!

أما لماذا الناس لا يدوم تأثير الموعظة فيها؟ الامير(عليه السلام) يقول "كفى بالموت واعظ" ، فحتى الموت الناس لا تكتفي برؤيته لمرة واحدة بل تحتاج الى تكرار وتعدد .

الله تعالى قذف في القلب نعمة كبيرة وهي الرقة ، فتراه يميل الى الكلام المقفى والكلام المهذب الذي يسمع بالموعظة الحسنة . **والقرآن الكريم دعي النبي بموعظة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا الحسن له ثلاث أنحاء :**

- **حسن المضمون** : أن يكون مضمون الموعظة مضمون طيب مؤثر بالنفوس .

- **حسن الهيكل** : الالفاظ ، العبارات ، مرتبة وفيها شيء من الدقة والتوجيه .

- **حسن الواعظ** : أن يكون مخلص لله تعالى ، يكون صادق بما يقول .

وهناك نقطة أساسية لابد الاشارة لها وهي إن هذه العناصر الثلاثة يجب تحققها من جانب الواعظ ليكون حسن الموعظة وجمالها ينعكس في قلوب المتعظين . اما من جانب المتعظ لعله مع توافر هذه العناصر الثلاثة في وعظ من يعظه لكنه لا يتأثر ، فأهل البيت كانوا يعظون الناس إلا إن الناس لم تكن تتعظ ، ولم تكن تسمع ، ولم تأخذ بكلامهم .

حيث هنا نذكر أسباب لعدم تقبل الناس الموعظة :

السبب الاول : الحجب التي تمنع الإنسان من التأثر ، لقمة الحرام تحجبه عن الانتفاع من الموعظة ، ظلامات الناس ، المسالة ليست في متى وكيف يقرر الإنسان أن يسمع او لا ، يتعظ ام لا؟ بل المسألة في إن بـــــــــدين الله كل شيء بقدر فإن أحسن الإنسان وأحترم الدين سيأخذ الكثير ويحمل منه ما يُريد ، وبالمقابل إن أساء وتجرأ وافترى لا يأخذ شيء لأن الله يسلبه التوفيق .

قال تعالى : (**وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) [البقرة :258] وهنا مفردة نفي الهداية ، قد يسأل البعض أ ليست الهداية عامة مطلقة؟ نقول : نعم مطلقة بشرط أن لا يحجب الإنسان الهداية عن نفسه ، فالآية عللت سبب عدم الهداية وخصصت وهم الظالمين ، بعبارة اخرى : هو لإنه ظالم بارتكابه للظلم حجبت عنه الهداية . فعن امامنا الحسن عليه السلام : " **بينكم وبين الموعظة حجاب العزة ،** " (موسوعة كلمات الإمام الحسن (ع) :ص ٣٣٢) العزة هنا الاغترار أي طول الامل الممزوج بالتعدي على حدود الله ، وكما نقرأ في الدعاء(**وغرني سترك المرخي عليَّ**) ، فعندما يطول أمل الانسان وتكبر أناته الله تعالى(بإمهاله للعبد) هو يغتر!

وفي فقرة أخرى لإمامنا زين العابدين(عليه السلام) : "**أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضا عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقامِ الكاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي**" ، هكذا بعض الذنوب لا تؤثر على الانسان بشكل آني فقط ، بل تمنع عنه التوفيق لعشرات الطاعات .

وفي نهج البلاغة ورد : "كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ تَمَنَعُ أَكلات" .(المهج ١٨ : ٣٩٧ ، ١٧٣/ح) ، ليس فقط الأكل المادي ، رب معصية تغذي بها النفس فتحجب صاحبها عن كثير من القربات ، وتمنعه عن الكثير من الطاعات .

وفي روايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "**من اكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة اربعين ليلة ، ولم تستجب له دعوة اربعين صباحاً ، وكل لحم ينبته الحرام فالنار اولى به ، وان اللقمة الواحدة تنبت اللحم**" .

السبب الثاني : الانسان احيانا يأتي للموعظة ولكن لا يعرف ماذا يريد منها ، القرار يؤثر بمقدار تحقق الانتفاع من الموعظة . فان تعرف ماذا تريد؟ أن تعرف ما هو الخلل الموجود فيك ، العلة ، المرض القلبي الذي تبحث عن علاجه وإزالته ، عندما تقصدر الموعظة المناسبة عندئذ تحصل على الأثر .

كالذي يدخل للبستان ويضل ينظر وينظر ثم يخرج بأيدي فارغة هنا الخلل ليس في البستان بل في الانسان الذي يدخل ولم يكن يعرف ماذا يريد أن يأخذ أو يقطف من مجالس الوعظ والارشاد ، الكتب ، الروايات .

فالنفس عالم فسيح وحوائجها كثيرة لذا علينا أن نلتفت ماذا نريد حتى نستفيد ، لا نكتفي بأن تمر الموعظة على قلوبنا فتلين ثم نكتفي بذلك فقط .

لذا **[في الدنيا لا تطمع ، لكن في المواعظ والاخرة كن طماع]** ، إياك أن تزهد بها او تستحي من طلبها ، لما تأتيك الموعظة لا تكتفي بأن تجعلها تسبب رقة لك بل هذه بضاعة صغيرة كن ذا همة عالية وخذ منها ما يبقى معك بعد الموت ، ما يغير من واقعك على المدى البعيد لا الاني ؛ أحذف بها شيء لا تريده ، وأضف شيء تريده ، فالمواعظ للتغيير لليس فقط للتأثير الاني ، فلربما لا تحصل غداً عليها .

السبب الثالث : الانسان يضع كثير من الجهد على قائلها ، مع إن ما يقوله اي واعظ هو كلام الله وروايات اهل البيت فهو بذلك لا يعرض عن ذات الشخص ، وإنما عن كلام اهل البيت وعن كلام الله ، لكن هذه الانا الجهولة حالت بين الانسان

وبين الموعظة ، فكما ورد(لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال) . نعم في اخر الزمان مطلوب أن تعرف ممن تأخذ؟ وما هو مستواه؟ لكن هذا فيصل تام عن الموعظة لذا استمع وفحص -كما ذكرنا- القران الكريم هيئ لنا الاجواء (بشر عبادي) ، وكما ورد (الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها) ، هي كالشيء الضائع وجده عند عدو او صديق يأخذه ، إما أذ بقيت ضائعة وأخذت منك فهذا فيه خسارة لك .

المتدين الواعي يتعامل مع الموعظة على إنها ضالته أينما وجدها أخذها ، أما الاهتمام لوضع الواعظ قد يجعل الإنسان لا يتأثر بالموعظة أبداً .

◇ 》 الفصل الاول: مواعظ عن يوم القيامة

كيف يمكن للإنسان أن يستفيد من عنصر يوم القيامة في حياته؟ وهل للقيامة أثر في استقامة الانسان وتحسين سلوكه مع الله تعالى او مع نفسه والناس؟

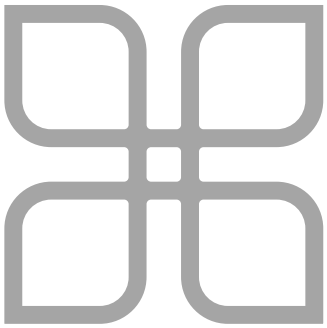

خطبة ٢١ [فَإِنَّ اَلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ ، وَ إِنَّ وَرَاءَكُمُ اَلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ]

هذه الموعظة الموجزة التي لخصت حياتنا في الدنيا والأخرة . في البداية نرى إن الامام نوه أن الانسان لم يوجد لهذه الحياة وإنما وجد لما بعدها ، وذلك من خلال [فَإِنَّ اَلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ] ، ثم قال [وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ اَلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ] ، تأملوا لما قال الغاية امامكم؟ والساعة ورائكم؟

الغاية حسب ما يفسر علماء اللغة في نهج البلاغة هو الموت ، والساعة المقصود بها القيامة (اي يوم يقوم الناس للحساب) . إشارة الى إن الانسان دائما بطبيعته وبجبلته يحاول أن ينأى بنفسه عن التفكير بالموت إلا من رحم ، يحاول أن ينساه أو يتناساه ، ولذلك يقول الإمام تناسيته ام لم تتناساه هو امامك وليس خلفك لا عن يمينك ولا شمالك! وهذه إشارة دقيقة من الأمير(عليه السلام) أيها الانسان وانت تسير سواء

سيرك سير إختياري او اضطراري(قهري) فإنك ستلقى الموت يوما من الايام .

ثم قال(عليه السلام)ومن [وَرَاءَكُمُ] و[اَلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ] فهي إشارات لطيفة أيها الانسان إن الأخرة التي هي شيء مصيري لابد أن تقف فيه يوم من الايام . وكلمة[تَحْدُوكُمْ] من(يحدو بك) والحدو هو السوق .

ثم قال(عليه السلام)[تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا] وهذه من النكات اللطيفة حيث ان امير المؤمنين يريد أن يقول أيها الإنسان هدفك اللحوق الى الجنة بالكمالات ، بالرضا الالهي ، بالحب الالهي كلا حسب همته . وكأن في ذلك إشارة الى أن الانسان بمقدار ما يلقي من اوزاره ، وبمقدار ما يلقي من تعلقه بتلك التعلقات التي تنغص عليك روحيتك ، تتحقق فيه الخفة وكأنه يقول[ألقي وارتقي] هذه العبارة تلخص فلسفة السير الى الله تعالى . القران الكريم يقول في اية من آياته العطرة : (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه) ، فلا يتحقق اللقاء والملاقاة مالم يتحقق التخفيف . لذا طلب منا لنخفف من الاوزار عبر الاستغفار التوبة التي تطهر الانسان من تعلقه التي ليست بصالحه .

ثم قال(عليه السلام) : [فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ] هنا إشارة دقيقة يريد ان يقول لنا فيها أن الاولون الذين مضوا وماتوا خرجوا من الدنيا ، ما الذي ينتظروه منكم؟ ينتظرون موتكم لكي تقوم قيامتهم . فهذه التفاتة مهمة تكشف لنا حقيقة من حقائق ارتباطنا بمن سبقنا بالرحيل ، فكل ميت هو ينتظر موتك وموتي لكي تقوم القيامة ، ولذلك دعونا نفتح باب القيامة ونتأمل فيه ونرى اين نصل ، وكيف نتعظ منه .

في أية من آيات الله العظيمة التي توصي الإنسان أن يتعظ ليوم القيامة وأن يأخذ منها محطة لقيامته ، هناك سؤال ينبغي أن نطرحه ونجيب عليه ، وهو هل القيامة غاية ام وسيلة؟ هل القيامة هدف يسير اليه الانسان أم هي وسيلة من الوسائل التي تجعل الانسان يسير سير طيب والى هدف أفضل وأكبر وأسمى؟

نستطيع أن نقول جازمين إن القيامة من جهة هي هدف ، ومن جهة اخرى هي وسيلة ، من ناحية هي هدف كما قال الامير(عليه السلام) أنتم تسيرون اليها...تعملون لها ، تريدون أن تصلو إليها بوجوه بيضاء وصحائف كلها اعمال طيبة ، ومن ناحية اخرى هي وسيلة ، وسيلة تنبيه وتذكير من اجل أن يتذكر الإنسان فيستقيم .

كتاب الله في سورة الحج تعالى يقول(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) [الحج :1] ، لماذا؟ كأن الزلزلة التي هي مقدمة القيامة إن وضعت نصب العين يسهل على الإنسان أن يكون مستقيم ومتقي .

حتى لو لم تكن التقوى لديك امر هام ، وإن لم يكن حب الله متحكم في قلبك ، حتى لو كانت التقوى بالنسبة إليك ليست عنصر ذا قيمة عالية ، فعليك ان تحُصلها من أجل القيامة لان القيامة ستقف فيها يوم من الايام وتحاسب على كل أفعالك . (. . .**وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [الحشر :7] .

إن أمير المؤمنين في نهج البلاغة قال(عليه السلام) مقولة مشهورة ومعلومة ولعلها ثبتت لنا هذه الحقيقة قال : "ليس بعاقل من باع باق دائم بفان زائل" ، كأن الامير(عليه السلام) يريد ان يشير الى هذه الحقيقة وهي ان القيامة أتيه لا محال فعليك أن ترتب أمورك . وتعالى يصف حالنا في ذلك يوم بقوله : (**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهَّ شَدِيدٌ**)[الحج :2] ، الغريب ان الآية تتحدث عن عذاب شديد مع إن الزلزلة هي مقدمة للقيامة! .

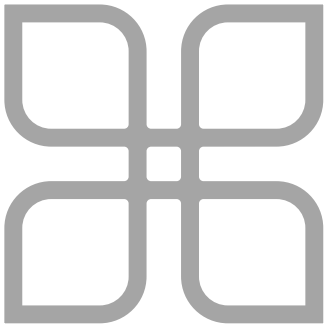

خطبة ١٠٢[وَ ذَلكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللّهُ فيه الأَوَّلينَ وَالأخرينَ لنقَاشِ الْحِسَابِ ، وَ جَزَاء الأَعْمَال خُضُوعاً قيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً]

امير المؤمنين في نهج البلاغة يشرح حال الانسان يوم القيامة ، ويصف ما الذي يجري عليه في ذلك اليوم ، قال(عليه السلام) في هذا المقطع : [قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ] ، والتعرق يكون ناشئ إما من الخوف او من الحياء(الخجل) ، او من الضروف الجوية .

ففي ذلك الموقف هناك من يتعرق حياء من الله تعالى ، ام الذين لا يستحون من الله فهم يتعرقون خوفا من عذابه ، وكلا الصنفين يصل تعرقهم الى شحمتي أذنيهم .

اما مفردة [أَلْجُمَهُمُ] من اللجام ، كيف أن الدابة لها لجام كالفرس له لجام اي حبل يوضع بفمه ، كذلك العرق بالنسبة للإنسان يوم القيامة سيكون بمثابة اللجام ، أي لهذه الدرجة يصل!!

ثم في مقطع أخر يقول الأمير(عليه السلام) [فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَ لِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً] ، السؤال هنا إذا كان أحسنهم حال من يجد لقدميه موضعا ، ولنفسه متسعا اي يتنفس براحة ، إذن أسوأهم كيف يكون حاله؟!

فهذا الذي يعبر عنه القران الكريم (اتقوا الله) لأجل هكذا موقف وهكذا يوم ، لذا قلنا إذا يوم القيامة تحَكم في قلب الإنسان وسيطر عليه سيكون الانسان مستقيم ومتقي ، ولن يجد صعوبة لان الذي يعلم إن الله تعالى سيحاسبه لا يصعب عليه محاسبة نفسه .

هذه نقطة دقيقة في اية أخرى في سورة القيامة – **وهي من سور الوعظ الدقيقة التي ينبغي ان لا تفارق عيوننا**– كيف لا وهي أسمها سورة القيامة . قال تعالى : (**أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**(1) **وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**(2) **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ**(3) **بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**(4) . . .**كَلاَّ لاَ**

وَزَرَ(11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذ الْمُسْتَقَرُّ(12) يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(13)) ، من أجلٍ ان تكون الحقيقة ماثلة امام العين ، كأننا نراها قد حصلت وليست مسالة مستقبلية ستحصل بالغد ، لم يقول اليوم فلو تأملتم فيه ستجدون أن فيه أنعكاس إيجابي على حياة الإنسان وسلوكه .

ولذلك كلما حظرت القيامة في قلب الانسان كلما تغيير سلوكه نحو الأحسن ، لذلك دعونا نتأمل بالعبارة التالية(**لاَ وَزَرَ**) ، الوزر هو المكان المرتفع الذي يختبئ الانسان خلفه ، يوم القيامة الارض مسطحة منبسطة لن يستطيع الانسان أن يختبئ في أي مكان من الأمكنة .

لذا هذه العبارة لمَ نرددها يوم القيامة فلنرددها اليوم؟ لتنعكس وتصحح سلوكياتنا ، و لمَ ننتظر سماع هذا الجواب يوم القيامة؟ لمَ لا نُسمعه لأنفسنا في هذه الدنيا ، ونقول أيها الانسان يوم القيامة لا وزر فيها ، والان لا يوجد مكان تختبئ خلفة أبدا عن نظر ربك .

ومن هنا علينا ان ندرك أن حضور القيامة في حياتنا ليس شيء مخيف بل لطيف يقوي العزيمة وينشئ في داخلنا البنية الخيرية التي تدفعه للخير وعمل الخير .

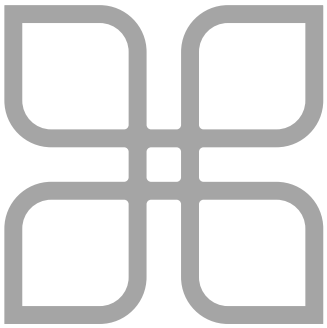

الخطبة [105] [حَتَّى إِذَا بَلَغَ اَلْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَ اَلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ اَلْخَلْقِ بِأَوَّلِه ، وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اَللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ اَلْخَلْقِ أَمَادَ اَلسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا ، وَأَرَجَّ اَلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا ، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِه وَمَخُوفِ سَطْوَتِه ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ عَلَى إِخْلاَقِهِمْ ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا اَلْأَعْمَالِ وَ خَبَايَا اَلْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلاَءِ وَ اِنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاَءِ]

هذه الكلمات العلوية هي مواعظ صادقة خالصة طيبة ، الهدف منها ليس الترويع بل التنبيه . فما هو موقف الانسان عندما يرى ويسمع هكذا أجواء ، ك[أَمَادَ اَلسَّمَاءَ] أي حركها بحركة غير منتظمة/ اهتزازي [أَرَجَّ اَلْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا] و[قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا]؟

فيا أيها الإنسان الضعيف عليك ان تَعْد نفسك لتلك الساعة لإنك إما أن تكون ممن سيهوله هذا الأمر ؛ فيكون ممن لا ملجئ اليه ، وإما تكون ممن يؤوله تعالى اليه فيكون الملتجئ اليه . في حياتنا نلتقي بأناس نرى الواحد منهم يهيئ كل الامور في جوانب حياته الدنيوية يعمل ويستعد لها إلا الاستعداد ليوم القيامة تجده مهملا مركونا ، في القرآن الكريم والروايات ورد "ما من يعد له العدة؟!" وهذا سؤال مهم : ما الذي أعددناه لهذه الأهوال ، فهي ليست أهوال لتخويفنا وادخال الرعب فينا بل هي أهوال مُذكرة . [فالمواعظ هدفها التنبيه كما بينا] .

ثم مما وصف به الامير(عليه السلام) حال الانسان في ذلك اليوم [وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ عَلَى إِخْلاَقِهِمْ] ، ف[إِخْلاَقِهِمْ] أي اثوابهم ، والخَلَقِ اي خالي ممزق ومتهرئ ، كأن الامام يريد أن يصف الأنسان بوصف يقرع به سمعه فينبه به قلبه : أيها الإنسان ستكون على شيء خلق يعني بالي وممزق .

ثم قال(عليه السلام)[وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ] فسيجمعك الله تعالى بعد أن خلقك في اسرة واحدة ، فقد يموت الابن في افريقيا والاب في سرق اسيا ، رب العالمين سيجمعهم ثم يَميزهم . وقد يسأل سائل : لمَ كل هذه الاهوال ، والجمع وإنشقاق الارض... الى اخره من الاهوال من اجل تلك المرحلة؟

الجواب في هذه الفقرة من خطبة الامير(عليه السلام) :[ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْـــــــــــــأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا اَلأَعْمَالِ وَ خَبَايَا اَلأَفْعَالِ] اي لما يريده من مسائلتهم عن خفايا اعمالهم وخبايا افعالهم ، وهنا الامير(عليه السلام) يقول أن الله تعالى لن يسالهم عن الأفعال الجلية والأعمال الظاهرة؟

وكأن الامير(عليه السلام) ينطلق الى نكتة دقيقة حيث يريد أن يشير من قريب لن يخفى عليك من الله تعالى من خافية يوم تبلى البواطن والسرائر ، كما في قوله تعالى :(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)[الطارق : 9] ، وهنا قد يسأل سائل السريرة ما هو معناها؟ نقول : هي تأتي من السر الذي لا يعلمه إلا صاحبه ، فكأن الآية تقول : إنه يوم الاسرار أي إظهار ما في السر الى العلن .

وفي اية تقول : (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ) [الحاقة :18] ، اي لن يكون بينك وبين ربك سر ، ولكن اوليس تعالى شاهد علينا في كل الاحوال فإن كان بيني وبين الله تعالى سر هذا يجعل المعنى منتفي من هذه الحقيقة؟

الجواب : أنما المعنى إنها تظهر أمام الخلائق ولنا ؛ فبعضها حتى على نفسه يكون قد خفي ، فسرائرنا ظاهرة على كل حال فيما بيننا وبين الله تعالى ، ولو كان على هذا المستوى من الاظهار لهان الامر لأ نه الغفار والستار الحنون الودود العطوف .

ثم قال الامير(عليه السلام) [وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ] يوم القيامة يوم التميز كما قال الامير(عليه السلام) في الفقرة السابقة ، فهناك صنفان[أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلاَءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاَءِ] لا ثالث لهما هناك مرضيين وهناك مغضوب عليهم- وكما نعلم – أنه كلما قلت الخيارات صعبت المسارات! فهناك الانسان لا خيار امامه للنجاة إلا واحد وهو ان يكون مع المنعم عليهم ، وهذا يترتب على ما هو عليه الانسان في الدنيا وماذا أختار ، تعالى يقول(بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)[القيامة :14] ، فالإنسان أبصر بنفسه في هل كان سيره في هذه الحياة الدنيا سير مع الذين أنعم الله عليهم ام مع المغضوب عليهم .

[فذكر الصنفين لغرض الدعوة لنلتفت من اي الصنفين نحن ، ولذلك كل واحد عليه أن يتأمل بوضعه] .

وهذه الفقرة التي صدرت عن الامير(عليه السلام)هي ترجمان لقوله تعالى :(**إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ**(1) **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**)[الإنفطار :2] ، فهناك ستعلم (**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . . .**(6)**كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . . .** (9)**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**(12)**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**) [الإنفطار :13] .

لذا فالذي يريد أن ينجوا وينجوا في حيازة صفات الابرار ليكون ممن المنعم عليهم في ذلك اليوم ، بأن يكون من أهل الطاعة على أقل القول ، إما الذي لا يتصف بصفات الابرار فعليه أن يتدارك نفسه- فكما يقال بعلم المنطق-(القسمة الثنائية مانع خلو إما او) اي إما ان تكون في الفريق الاول أو الثاني ، وهنا الامير(عليه السلام) يضع خطة للإنسان عليه ان يسير عليها .

ثم قال(عليه السلام) [فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَته فَأَثَابَهُمْ بجوَاره وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَاره حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ اَلنُّزَّالُ وَ لاَ يَتَغَيَّرُ لَهمُ اَلْحَالُ وَ لاَ تَنُوبُهُمُ اَلْأَفْزَاعُ وَ لاَ تَنَالُهُمُ اَلْأَسْقَامُ وَ لاَ تَعْرِضُ لَهُمُ اَلْأَخْطَارُ وَ لاَ تُشْخِصُهُمُ اَلْأَسْفَارُ]

فعبارة : [فَأَثَابَهُمْ بِجوَارِه] ليس الثواب هو الجنة بل مجاورة الباري عز وجل ، وكأن الامير(عليه السلام) يريد ان يوجه المؤمنين على ان تكون أهدافهم عالية بهذا المستوى ، مستوى(**وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ . . . وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[التوبة :72] .

رواية في وسائل الشيعة وهذه من النقاط الاساسية عن الحظوظ في القيامة وفي الاستقامة بالسر والعلن ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ، عن آبائه (عليهم السلام) ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :**" إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيدٍ واحدٍ ونادى مناد من عند الله يسمع آخرهم كما يسمع أولهم...** قال(صلى الله عليه وآله) : **" ثم ينادي مناد من الله عز وجل يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول : أين جيران الله (جل جلاله) في داره ؟ فيقوم عنق من**

الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم : ما كان عملكم في دار الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره ؟ فيقولون : كنا نتحاب في الله (عز وجل) ، ونتباذل فيالله ، ونتزاور في الله " ، قال(صلى الله عليه وآله) : " **فينادي مناد من عند الله تعالى :صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنة بغير حساب"** ، قال(صلى الله عليه وآله) :" **فينطلقون إلى الجنة بغير حساب** " ، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) :**"فهؤلاء جيران الله في داره يخاف الناس ولا يخافون ، ويحاسب الناس ولا يحاسبون** " . (وسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٦ – ص ١٧٠)

أحدنا إذا جاور إمام معصوم أي بهجة وسعادة تنتابه ، وأي فخر واعتزاز يصيبه ، فكيف بمجاورة الله سبحانه ، فالذي يؤمن أن هناك قيامة وحساب وكشف للسرائر وانكشاف للبواطن ، لا يَفرق عنده العلن من السر ، لا يفرق عنده فلان او فلتان ، الذي يفرق عنده هو نظر الله تعالى ، هذه القيامة وضيفتها في قلبك .

لذا اول جزاء لمن ثبتت القيامة في قلبه ، هو مجاورة المتعال ، فهذه مفردة عرفانية حيث لم يبتدأ كعلاقة جنة ونار بل ابتدأ بمقام **[المجاورة]** ، لان الحبيب يفضل أن يكون جزائه جوار حبيبه على كل شيء اخر .

ثم قال(عليه السلام) : [خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ اَلنُّزَّالُ] ، اي حيث لا يزول الجوار(حيث الملك الدائم) ، فمن سمات الدنيا إنها فقيرة ، ومن ابرز سمات الفقر أنه متحول للتغير والتبديل ، ففي الدنيا دارك كانت ملك ام إيجار انت تخرج منها في يوم من الايام باختيارك أو بدون اختيارك ، إما أن تَخرج أو تُخرج ، إما ان تحَمل أو تحُمل ، إما أن تسير أو يّسار بك الى حيث المأوى الاخير (خالدين فيها أبدا) .

ثم قال(عليه السلام) :[وَلاَ يَتَغَيَّرُ لَهِمُ اَلْحَالُ] ، فالدنيا حالها متغير ، اما القيامة فلا يوجد تغير في الحال بها .

ثم قال(عليه السلام) : [وَلاَ تَنُوبُهُمُ اَلأَفْزَاعُ] الفزع هو الخوف الذي يأتي فجأة . حيث قال تعالى :(**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**)[النمل : 89] ، ومن الالتفاتات الولائية أن من لهم علاقة بالصديقة الزهراء (عليها السلام) يشملهم هذا الآمن فلا يصيبهم فزع يوم القيامة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَلاَ تَنَالُهُمُ اَلأَسْقَامُ] اي لا مرض وتعب هناك .

ثم قال(عليه السلام) : [وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ اَلأَخْطَارُ] آمنهم دائم ورضاهم دائم .

ثم قال(عليه السلام) : [وَلاَ تُشْخِصُهُمُ اَلأَسْفَارُ] لا تشخصهم اي لا تزعجهم ، حيث لا يوجد تقلب وانتقال من مكان الى اخر او سفر بل مستقرين .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَمَّا أَهْلُ اَلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ اَلأَيْدِيَ إِلَى اَلأَعْنَاقِ وَ قَرَنَ اَلنَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ اَلْقَطِرَانِ وَ مُقَطَّعَاتِ اَلنِّيرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لاَ يُفَادَى أَسِيرُهَا وَ لاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى وَ لاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَنْقَضِيَ]

فعبارة : [فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ] هذه العبارة توجب التعويذ والاشفاق .

وقوله(عليه السلام) : [وَغَلَّ اَلأَيْدِيَ إِلَى اَلأَعْنَاقِ وَ قَرَنَ اَلنَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ] اي قرن رأسه برجله ، هنا العبارة غريبة .

وقوله(عليه السلام) : [وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ اَلْقَطِرَانِ وَمُقَطَّعَاتِ اَلنِّيرَانِ فِي عَذَابٍ] ، و[وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ] أي ان اللباس هنا غير مكتمل الذي يصل الى حد الركب ، و [اَلْقَطِرَانِ] إشارة الى النار .

وقوله(عليه السلام) : [وَمُقَطَّعَاتِ اَلنِّيرَانِ] اي قميص مقطع ، ومن النار !!في قوله تعالى : (**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**)[الهمزة : 7] ، فان تكون النار مطلعة على القلب اي حتى من الداخل هناك نار ، وفي قول الامير(عليه السلام) لباسهم الظاهري اي من الخارج هناك نار .

وقوله(عليه السلام) : [لاَيَظْعَنُ مُقِيمُهَا] أي لا يرحلون بل باقين ، هكذا حال اهل الجحيم خالدين في دار الجحيم .

وقوله(عليه السلام) : [لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ] يعبر عنها الاصوات الصادرة من النار ، ولجب يعني تقلب ، والمقيم هنا باقي لا يرحل منها .

وقوله(عليه السلام) : [وَلاَيُفَادَى أَسِيرُهَا] فهنا تنبيه لذو السلطة من الحكام والملوك ، فهم إن كانوا في الدنيا قادرون على ان يبعدوا البلاءات عنهم بالرجال والعبيد لكن في يوم القيامة لا ينفع احد ابداً ، كما بوله تعالى :(. . . **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ**)[المعارج :11] ، لكن ما من مفر كما في قوله تعالى :(**فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ**)[الفجر : 25] ، فكل إنسان يجزى بما كسبت يداه .

فكل هذا الوصف لنعيم الجنة لأجل أن يسعى الإنسان لبلوغها ، فالنبي (صل الله عليه واله) يقول في وصفها " فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشرٍ مما أعدهُ اللهُ" .

فنحن في هذه الدنيا نرى مناظر جميلة وصور مهذبة وأنيقة إلا إننا لا يمكن أن نقارنها بنعيم الجنة أبداً ، فما في الدنيا صورة للجمال فقط ، أما في القيامة والجنة فعين الجمال ، النعيم والأنهار والولدان المخلدون والزروع والبساتين والورود وكل ما في الجنة هناك هو حقيقة الجمال . أما هنا فهو فناء في فناء لأن القرآن الكريم وصفها بأنها هي الفناء ، بينما الأخرة فهي الحيوان .

يقول(عليه السلام) في اخر [وَلاَتُفْصَمُ كُبُولُهَا] كبولها هنا بمعنى تكبيل اي تقييد ، اي يبقى الانسان قيد ذلك العذاب ، فهنا لا دار فناء فتنتهي ، ويبقى الإنسان على قيد الحياة ، ولا الإنسان له أجل فيموت ويتخلص من العذاب الذي هو فيه ، فلا يقضى عليهم ولا يخرجون منها فيستريحون . نار سَعرَها رب العالمين بغضب تطلع على الافئدة ، ليس لها أمد معين بل أبدية .

قال تعالى :(**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**)[النساء : 56] ، مع إن القرآن الكريم كل عباراته رقيقة لكن لما يصل الكلام للنار يقسوا ، فكلمة (نضجت) كلمة فيها شيء كبير من العذاب والقسوة ، أما لماذا؟ فالجواب هو لأجلنا ، لأجل أن نتذكر ولا نغفل ، ما زلت في الحياة الدنيا فإن من الممكن أن ينطبق عليك الوصف الأول لمن هم من أهل الطاعة وممكن لا ينطبق عليك لمن هم من أهل العصيان . تعالى يقول لنا إن حقيقتك أنك أيها الانسان ضعيف ، ولا تقوى على أهوال هكذا عذابات .

ثم قال(عليه السلام) : [لاَمُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى ، وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَنْقَضِى] فلا النار تخمد وتنطفئ ولا العمر ينقضي ، فالإنسان في يوم يتمنى على أثر ما يرى من أهوال الموت بمقدار ما كان لا يرغب بالموت وهو في الدنيا(اللهم نستجير بك من نارك ، من غضبك ، سخطك ، إنتقامك ، سطوتك ، عذابك) وهذا جيد لكن هذا نوع اول ، هناك نوع ثاني من الاستجارة وهي الاستجارة العملية والاستعاذة العملية بمعنى أن يدع الانسان أعماله تستجير بالله وتستعيذ به من النار . لذا لا تترك فقط لسانك يقول استجير بك يارب ، بل اجعل صلاتك ، صومك ،

زكاتك ، خمسك ، عباداتك ، بل اجعل كل حياتك توصلك للنجاة .

فما قيمة العمر إن لم يعطيك نجاة من النار ، ما قيمة الحياة إن لم تعطيك دخول للجنة؟ فعَنْ النَّبيِّ أَنَّهُ قَالَ :" **مَا رَأَيْت مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَمَا رَأَيْت مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا**" (الكامل : 5/257) نعم كلنا نريد ان نقترب من الجنة ، ونبتعد عن النار ، ولكننا نائمون . لذا لا بد أن يحرص الانسان أن يترك كل يوم بصمة له في الجنة ، يجب أن يكون للإنسان موضع قدم في الجنة ، حتى إذا مات ينتقل الى الجنة والى النعيم المقيم ، الى رضوان من الله أكبر ، الى لطف الله ورحمته .

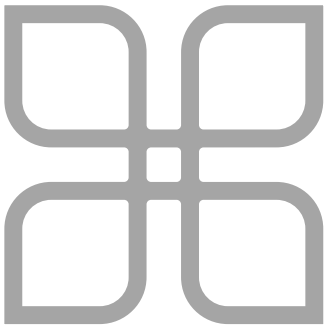

الخطبة الغراء [83] (بعد الموت البعث) [حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَت الأُمُورُ وَتَقَضَّت الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاسْتِكَانَةِ وَضَرَعُ الاسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّت الْحِيَلُ وَانْقَطَعَ الأَمَلُ وَهَوَت الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ وَعَظُمَ الشَّفَقُ وَأُرْعِدَتِ الأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ وَنَوَالِ الثَّوَابِ]

إن تكرار الحديث عن القيامة هو من أجل أن نقوم ونتحرك ، فإن كنا ممن ينطبق عليه أسم الذاكرين يزيد بذلك ذكرنا ، وإن كنا ممن ينطبق عليه عنوان الغافلين نرفع بذلك غفلتنا ، فكل موعظة تتحدث عن القيامة ما هي إلا عبارة عن محرك اساس للإنسان يدفعه الى الطاعة ، لأن كل عاقل عندما

تقول له : إن غدا ستحاسب وستسأل عن كل شيء فعلته في هذا اليوم سيعتني بيومه ويعتني بفعله وقوله ، كيف والمحاسب والذي يسألنا هو الله تعالى ، والرقيب والمحصي هو الله تعالى ، والشاهد كما قال في محكم كتابه(**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) [فصلت : 53] ، لذلك تكرار مسالة القيامة هو من أجل هذا .

ففي هذه الخطبة الواردة عن الامير(عليه السلام) قال(عليه السلام) : [حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ] أي إنتهت بالتدريج ، وليس دفعة واحدة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ] أي إنتهت دفعة واحدة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَزِفَ النُّشُورُ] أي إنتشار الانسان وخروجه .

ثم قال(عليه السلام) :[مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ] هنا نتوقف مع هذه التقسيمة الرباعية :

الاول :(ضرائح القبور)حيث قال الامير(عليه السلام) في بادي الامر أنه تعالى يخرجهم من ضرائح ، ومفردة ضرائح (الضريح) اي الموضع الذي يُلحد به الإتيان إذا مات موتا طبيعيا ، ولكن هناك بعض البشر لا يوفقون ليدفنوا في قبر بل تبقى جثثهم في الصحراء تأكلها الطيور ، ولذلك أمير المؤمنين يقول من (ضرائح القبور) أو (أوكار الطيور) .

الثاني : (أوكار الطيور)يعني من عش الطير وبطنه عندما يأكل الطير جثث الانسان ثم تنتقل من طير لأخر .

الثالث : (وأوجرة السباع) اوجرة أي الحُجَر اي يأكله السبع .

الرابع : (مطارح المهالك) كان يقع عليه سقف دار فيبقى تحت الأنقاض مدفونا ، الى أن يتصرم بالتراب .

إذن فالأمير(عليه السلام) يشير هنا الى قدرة الله تعالى فكما خلقكم متشتتين من مشارق الارض ، من بلاد متعددة ، وجنبات متعددة إلا إن الموت واحد ، ولكن الميتة تختلف ، فمنهم من يموت موتة طبيعية فيقبر ، ومنهم من تأكله الطيور فتكون أجوافها له قبرا ، ومنهم من يكون جوف السباع له قبرا ، ومنهم من يكون مطارح المهالك ، وكل أولئك يأتي بهم الله

تعالى اينما كانوا ويجمعهم في يوم القيامة أينما صاروا ، وهذا يدل على امرين :

الامر الاول : قدرة الله جل وعلا واستطاعته على أن يبعث الانسان أينما كان ، وهذا ما يسمى بالعقائد بشبة الاكل والمأكول- ولها بحث في محله-

الامر الثاني : النشور والبعث الجسماني مع الروحاني لأننا كشيعة إماميه نختلف عن غيرنا باعتقادنا إن البعث بعث روحاني وجسماني على حد سواء .

ثم أنتقل بقوله [سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ] هنا نتفق مع إن القيامة والنشور في الحقيقة شيء مخيف كما في قوله تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) [الحج : 1] حيث يخرج الانسان مذهولا خائفا من قبره ، متلحف بكفنه(لباس الاستكانة) ، وليس هذا الغريب بل الغريب إن الانسان يصدر من قبره سريعا مسرعا! كيف لنا أن نجمع بين الامرين الاول خوفه والثاني استجابته السريعة؟! والحديث هنا ليس عن المؤمنين ولا عن الانبياء بل عن الانسان ككل القريب والبعيد ، المتدين وغيره .

من هنا نكتشف هيمنة الله سبحانه وتعالى على الانسان ، فإذا امرهم يأتون اليه مسرعين ، في الحياة الدنيا اوامر الله تعالى نتثاقل عنها ، نخلد الى الارض متكاسلين ، وعن ندائه متباطئين إلا إن في ساعة النشور الجميع يأتي مسرع ملبيا للأمر الالهي كما في قوله تعالى :(**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**) .

فهذا مثال بسيط عن هيمنة الله تعالى على بني آدم في مسالة إنه لا يملك أن يستبطئ ولا يملك أن لا يمتثل بل يأتي سريعا مسرعا ملبيا ، وهذه نكتة دقيقة يجب التوقف عندها عندما نقرأ هذه الخطبة .

ثم قال(عليه السلام) : [مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً] ، المهطع هنا لها تفسيران أحدهما اروع من الاخر :

التفسير الاول : اي بمعنى منزلين رؤوسهم من الذلة ، وبشيء من المسكنة ، بشيء من الخوف والوجل ، وبنفس الوقت بمعنى خاضعين الى معاده سبحانه وتعالى ، وهذه [إِلَى مَعَادِهِ] لها مفهومين :

المفهوم الاول : اي هو الى الغاية .

المفهوم الثاني : الى التفسيرية لمعاده اي لقائه .

التفسير الثاني : المهطعين في التفاسير اللغوية الذي ينظر من دون أن يحرك جفنه ويرمش دلالة على شدة الذهول الذي يصيب الانسان في وقت النشور . فهو صلوات الله عليه يصف الحال وكأنه يعاينه ، كما ورد عنه (**وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**) [فاطر : 14] ، فهذا الخبير الذي قال وهو جالس على المنبر سلوني قبل أن تفقدوني فو الله إني أعلم بطرق السماء أكثر من طرق الأرض . فكيف لنا أن نتخيل حال امير المؤمنين (عليه السلام) وهو يصف هذه الحالة ، وكأنه قد عاش الأمر بكله ، وقد رآه من مكان مرتفع حتى لا يمر بحالة الذهول فتفوته بعض الأمور .

وهنا بعالم الدنيا الناس تجاه أوامر الله تعالى ينقسمون الى قسمين :

١/ المثقلين المبطئين والمتكاسلين .

٢/ المسارعين (**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**) ، (**وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**) ، وهذه من عظائم خلق الله تعالى ، أنت ايها الانسان العالم الفقيه الذي تفتي للناس مسرع وانا الانسان الفقير المقلد الذي لا أملك لنفسي شيء مسرع! النبي والشخص العادي ، الغني والفقير كلهم لما يسمعوا أمر الله تعالى يسرعوا . الفرق هو

إن أهل المسارعة لأوامر الله تعالى في الدنيا يكون مسارع في الاخرة وهو آمن من فزع ذلك اليوم (وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) [النمل : 89] ، واهل التثاقل عن اوامر الله تعالى وطاعته وعبادته في الدنيا يكون في الاخرة مسارع لكن فزع وخائف .

ثم قال(عليه السلام) : [رَعِيلاً صُمُوتاً] الرعيل يطلق على مجموعة الخيل التي تركض لجهة واحدة وبسرعة واحدة بحيث لا يفترق أحدهم عن الرعيل ولا يتقدم عليهم احد ولا يتأخر الجميع سيان ، لا يفترقون .راما لمَ قال (صموتا) ولم يقل (سكوتا)؟ فالسكوت لا تمتزج مع الصمت ، فقد تسكت ولكن بالداخل انت غير صامت ، بينما الصمت هو الذي يمتزج ، بالانصات فنتأمل ونسمع إن هناك نداء وأمر ، يوجد هناك صيحة ، قيام .

ثم قال(عليه السلام) : [قِيَاماً صُفُوفاً] اي لا يقعد ولا يجلس أحد ، الجميع قِيَام . وهذا القيام سواء كان الذي كان قائم في الدنيا بأمر الله تعالى فإنه في القيامة قائم لأمر الله في يوم الحشر ، والذي كان قاعد عن أمر الله في الدنيا سيكون قائم لأمر الله تعالى في يوم القيامة . فالقانون واحد وهو ساري على الجميع بلا استثناء ، وهذا يوجب وجود في كل إنسان حالة الانضباط ، ولذلك يعبر عن صورة من صور يوم القيامة بقوله

تعالى :(**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا**) [طه : 108] لان الجميع يكون تحت نظر الله جل وعلا .

ثم قال(عليه السلام) : [يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ] فعلى كثرتهم وعلى عددهم الذي لا يمكن أن نسعه بالعدد إلا ان بصر الله تعالى يحيط بهم بل عبارة الامير(عليه السلام) ليس يحيطهم البصر او يحصيهم البصر ، بل قال ينفذهم ، والنفوذ فيها دلالة أخرى على الاحاطة ، وهي دلالة العمق اي انهم داخلين في بصر الله جل وعلا ، وهذا ما يشير اليه القران الكريم بقوله في ثلاث آيات في سورة الحاقة(**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**)[الحاقة : 18] ، وفي ذلك ذكر لحقيقتين :

اولاً : انتم لا تخفون ، اي لا يوجد إنسان يتخفى عن بصر الله تعالى .

وثانيا : ولا شيء منكم يخفى . اي لا انت كذات ولا عملك كفعل وقول وكل ما كسبت في الدنيا لا يخفى ، حتى نياتكم التي في الفؤاد ، احيانا يضمر الانسان شيء في داخله هناك سيظهر ، وهنا تعالى ينبه الانسان ليحسن ما يضمر في داخله

فيقول : (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)[طه : 7] ، حيث لا يوجد أخفى من السر .

لذا الانسان يقول في ذلك اليوم(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)[الكهف : 49] .

وفي سورة الطارق (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق : 9] ، أي تنكشف حقائقكم لأنفسكم عند الوقوف بين يدي الله تعالى ، ولا يخفى منكم شيء .

وفي سورة غافر (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[غافر : 16] ، فالبروز أي لا يخفى شيء ويبقى في مكان ، حيث يسأل الإنسان يوم القيامة(يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ)[القيامة : 10] ، فيأتيه الجواب(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)[القيامة : 12] .

ثم قال(عليه السلام) :[وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي]اي الجميع يسمع لا صم هناك ، في الدنيا قد لا يسمع من هم من ذوي الاعاقة في السمع لعارض او مرض ، بفعل فاعل ، او لعاهة ولادية ،

لكن في الاخرة يسمعون دعوة الله تعالى ولو كانوا لا يسمعون في الدنيا .

في يوم القيامة لا يمتاز احد عن احد في هذه القوانين الجميع مسرع ، الجميع مهطع ، الجميع منظور ، الجميع يسمع ، لذا علينا ان نفكر جيدا بماذا اعددنا لذلك اليوم؟

ثم قال(عليه السلام) : [عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاِسْتِكَانَةِ] هنا يظهر إن الانسان من قبره وهو مؤتز الكفن ذلك اللباس الذي يتساوى به الغني والفقير ، الوجيه والبسيط . فلا يوجد كفن يباع لغني واخر لفقير ، كلها من جودة واحدة ، البعض لا يحصل حتى على هذه القطعة ليتخذها لباس له ، كمن يموت في الصحراء عطشا او في البحار غرقا- لذا من المجربات ووصايا العلماء أن يحاول الإنسان الذهاب الى المغتسل ليحظر تغسيل جنازة شخص ما ولينظر كيف سيعود بشيء جديد ينفعه في حياته-

والاستكانة هي الخضوع الممزوج بالفقر(مستكين) والائمة في ادعيتهم هم يحثونا على هذا النوع من الادب متى ما اردنا أن ندعوا الله تعالى بأن نأتي بهكذا حال ونركز على هذه الحقيقة في دواخلنا بأننا فقراء مساكين شئنا أم أبينا ، فيا أيها الانسان إن قبلت بهذه الحقيقة في الدنيا فإنك لن تتفاجأ بها

في الاخرة ، وإذ لم تتقبلها في الدنيا ستفاجأ بها في الاخرة ، فكل ما تملكه هو ليس من عندك وليس ملكك وليس دائم لك ، فكل شيء لديك تملكه هو من عند الله تعالى بالأصل .

ثم قال(عليه السلام) : [وَضَرَعُ الاِسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ] الضرع اي التعب والإرهاق ، والاستسلام لانهم يعلمون أنهم مقبلون على عقبة كؤود- كما يعبر الامير(عليه السلام)- فالخطاب يشمل الجميع كما إن القران الكريم يخاطب الجميع ولا يميز بين أحد .

ثم قال(عليه السلام) : [قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ ، وَانْقَطَعَ الأَمَلُ] أي لا يملكون هناك سبيل للفرار والهرب ، في الدعاء نقرأ" أدعوك دعاء من قلت حيلته وضعفت وسيلته" ، يعني ادعوك دعاء من لا يجد لنفسه حيلة الا انت ، ولا وسيلة الا انت . وكلمة (ضلت) أي تاهت ، وهنا السبب الذي لاجله عبر الامام (بحيل وأمل) هو إن الحيل هي المندوحة هي قدرة الإنسان على تغير مسيرة حياته ، مثلا إذا جاءه الخطر من هنا ينحرف الى حيث يبتعد عن ذلك الخطر ، لكن يوم القيامة ليس هناك خيار ، وبتعبير اخر الحيلة نستطيع ان نطلقها على مفهوم تعدد الخيارات التي توضع امام الانسان التي هي متاحة له في الدنيا .

اما يوم القيامة فلا يوجد إلا خيار واحد كما في قوله تعالى :(**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**)[إبراهيم : 43] ، فهم لله تعالى يسيرون وبأمره .

أما الامل هو وجود فسحة ومجال لتعمل وتقوم بشيء ، مثلا زيد من الناس أكتشف إنه على خطئ في امر ما وهو يملك أمل أي فرصة للتعويض والتبديل والتصحيح . أما اذا كان لا يوجد غد ، فما أطلق على يوم القيامة على أنه اليوم الاخر يعني لا غد بعده ، لذلك لا امل هناك .

لذا ورد في خطب علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة إنه قال : " . . . ، **ألا ان الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل**" (ابن عساكر في علي عليه السلام 3 / 260 .)

ثم قال(عليه السلام) : [وَهَوَتِ الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً] هنا توجد ثلاث مفردات (هوت ، افئدة ، كاظمة) اما الغاية من هذه العبائر فإن : مفردة (هوت) اي من الخوف إشارة لهبوط القلب ، وإشارة لحصول أمر يستـــــــــدعي الخوف . اما (الفؤاد) فهو جمع

القلب ، وإن كان بين الفؤاد والقلب خصوص وعموم ، فالفؤاد أخص من القلب . واما (الكظم) هنا لان القلوب من شدة الخوف ، وعدم قدرتها على أن تشكوا ، بل لمن تشكوا؟! لذا تكظم خوفها وحيرتها ، لذا ورد في وصف حال الانسان في ذلك اليوم كلاً يقول يا نفسي ، فالكل مشغول بنفسه .

ثم قال(عليه السلام) : [وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً] ليس هيمنة بل هينمة ، فالهينمة هي الكلام النفسي الخفيف(هينمات) ، حيث يهينم العبد لهيمنة الرب ، فلما يقال (هينم القلب) أي خشع وإستكان وصار بحالة من حالات الوجل .

وهنا سؤال هل في الدنيا لديك حالة من الهينمة أم لدبك حالة من التجريء ؟ فإذا هينمت لربك في الدنيا أطمئن فإنك ستعيش هناك بحالة من الآمن ، هناك حيث(**وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**)[النمل : 89] ، أما إذا كنت خلاف ذلك فإنك ستكون من أهل الفزع ؛ إذا فالهينمة تنشأ عن الخشوع ، الدعاء الرفيع يسمى الدعاء المهينم .

ثم إنتقل الامام الى مرحلة أخرى من النشور –فنحن الان في مرحلة النشور ولم ندخل بالمراحل الاخرى – لذا القران الكريم يقول(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**)[الحج : 1] .

أحد العلماء يقول : اذهبوا الى الامهات وابدؤوا من المستوى المتدني من النساء المتدينات الغير مباليات في رعاية أبناءهن وسألوهن هل حصل وذهلن عن اولادهن؟ سيقولن لا ، كيف اذهل عن رضاعة أبني!

بالمقابل القران الكريم يقول يوم القيامة تذهل كل مرضعة عن وليدها كما في قوله تعالى : (**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ** . . .) ، ففي ذلك إشارة لرؤيتها لشيء أهم وأعظم سيشغلها عن فلذة كبدها ، بل والآية تقول (**وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**) يحصل اسقاط باللغة الطبية يعني تسقط جنينها من شدة الخوف ، وكأنه تحصل الزلزلة بداخلها(خوف نفسي) لا زلزلة أرضية ، ثم تقول الآية(**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى**) ، فالناس كل الناس وسكرهم لا من شرب الخمر او النبيذ بل(**وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**)[الحج : 2] ،

اما لمَ كل هذا التهديد والوعيد والتخويف والتشديد من قبل رب العالمين؟ فلأجل ان ينتهي الانسان فيتجنب كل المحاذير التي بينها القران الكريم فلا يكون ممن ضلت حيرته وانقطع الامل منه .

ثم قال(عليه السلام) :[وَأَلْجُمَ الْعَرَقُ] ، ألجم من لجام الفرس ، فلما يريدون أن يسيطروا عليها يلجموها أي يقيدوها بحبل يوضع بفمها حتى يتمكن الفارس من ركوبها والتحكم بها ، والسيطرة عليها ، فأمير المؤمنين وصفه دقيق .

اما المفردة الثانية فإن أصل العرق ثلاث اسباب : خوف وحر وخجل ، وهذه الاسباب الثلاثة موجودة في ذلك اليوم ، فالخوف يكون من المصير المجهول ، والخجل يكون من اطلاع الخلائق عما كان مستور ، والحر -كما ذكرنا ذلك سابقا - حيث في ذلك اليوم المحظوظ من يجد لقدمه موضعا .

ثم قال(عليه السلام) : [وَعَظُمَ الشَّفَقُ] الشفق من الاشفاق يعني الخوف نقرأ في الدعاء ليت شعري ألا الشقاء ولدتني امي ام للعناء ربتني" اي لا علم لي بمصيري ماذا سيكون؟ فأي انسان لما يمر بموقف عسير أو امتحان صعب يعيش حالة من الخوف كلما اقترب موعد النتيجة ، هذا في حال الامتحانات

الدنيوية التي لا تقاس بالأمتحانات الأخروية التي يحدد بها المصير الابدي اما الجنة أو النار .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأُرْعِدَتِ الأُسْمَاعُ] ، فأرعدت من باب انصدمت ، حالة من الذهول تصيب الانسان ، في احد التفاسير ورد الرعدة انها تعني الرجعة .

ثم قال(عليه السلام) : [لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ] هنا بدأت ملامح القيامة تتبين ، وعبارة (زبرة) اي صوة عالي يصم الاسماع .

ثم قال(عليه السلام) : [وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ] ، هنا تبدأ عملية التمايز إما نكال وعقاب وإما نوال وثواب ؛ لكن المعضلة في ان النوال والعقاب بيد الله تعالى ولا يعلم به احد هذا الامر الاول ، اما الامر الثاني إن النكال والعقاب دائم ، فمن كان جزائه النكال دام عليه ، ومن كان جزائه النوال دام عليه ، ولذلك يعيش الانسان حالة الخوف والرعدة ؛ والمقايضة هنا تعني أن أحد قد أعطى شيء فيأخذ مقابله شيء أخر .

القران الكريم يصنف حال الانسان بأنه في الدنيا بحالة متاجرة مع الله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**) [الصف : 10] ، فأنت تدفع شيء في الدنيا وتنال جزائك في الأخرة ، حيث هناك في تلك المنظومة الكبيرة من الحشر والنشور ، من البؤس والمسكنة والرعدة ، هناك مجموعة من الناس آمنون ومطمئنون ، فكأن كل هذه العبارات في ناحية ، والناس الذين هم من أهل الامان من ناحية أخرى!

في سورة التحريم بقوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا . . .يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[التحريم : 8] .الخطاب هنا للمؤمنين الذين يعتقدون أن هناك رب واحد ونبي وولاية ، ثم تقول الآية (**عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**) هنا نفيا لحالة العجب والغرور بالاطمئنان لبلوغ غفران الله تعالى وحصول محو ما ارتكب ذلك الانسان . فالأمر باقي بيد الله تعالى يغفر او لا ، نحن علينا أن نتوب ونحسن الظن بالله تعالى ، ولكن لا يوجد شيء قطعي عندنا لحصول التوبة .

دائما رب العالمين لما يأتي بذكر شيء من اوامره في كتابه وبعدها عسى او لعل علينا ان نتوقف عندها ، ولنعلم أنها توحي بعدم الجزم لكي يعيش الانسان حالة الوجل والامل ؛ فليس من الادب ان تذنب وبمجرد ان تتوب تجزم بالقبول ، بل الخجل لابد ان يبقى .

قال تعالى :(**يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ . . .**) ، هنا بدأ الحديث عن الصنف الذي يتحدث عنه القران وكأنه يميز ، وهذا ينطبق على المعية المكانية والزمانية والمعنوية ، اي كانوا معه منهجا وعملا(المعية الانتمائية) ، معية بقلبه وعمله ، وهذا وعد الهي وتعالى لا يخلف الميعاد . وتعالى يقول في اية اخر : (**نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**) ، هنا الناس يقسمون الى :

- أناس يعيشون في الظلام في الدنيا والاخرة كما في اية قوله : (**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا . . .**) [النور : 40] .

- اناس لهم نور ويعيشون بالنور كما في اية قوله : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(41)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(42)هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم**

مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الاحزاب :43]فالصلاة وذكر الله في الدنيا يصنع في الانسان نور ينفعه في ذلك اليوم ، اما من لا يصنع لنفسه نور هنا تعالى يقول(**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**) ، فالذي لا نور له في الدنيا لا نور له في الاخرة .

• وهناك من له نور لكن غير تام ، على اثر صدور بعض الهفوات جعلت نورهم غير تام كما في قوله تعالى :(**يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا**) ، هؤلاء يطلبون من الله تعالى أن يتمه لهم في الاخرة ويغفر لهم ما جعل نورهم غير تام .

في اية اخرى تعالى يقول : (**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)[التوبة :102] ، فهنا كما كانوا في حالة رجاء في الدنيا هم كذلك يحملون ذات الرجاء في الاخرة كما في تتمة دعواتهم في الآية السابقة(**إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) .

لذا فما دمنا في الدنيا فالفرصة متاحة والسبيل مفتوح امامنا والإرادة موجودة والمعونة الالهية موجودة لنختار أن نكون في الدنيا والاخرة من اهل النور .

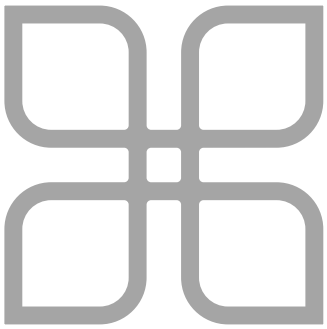

خطبة [156] (في وصف الإيمان)منه : [سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ فَبِالإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيْمَانِ وَبِالإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الأُخْرَةُ وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى] .

إن تذكر يوم القيامة وأثره يبرز في تنمية قابلية الانسان على الاستقامة وبقائه على الجادة البيضاء التي رسمها الله تعالى ، وهنا لابد من ذكر أمرين حول سبب تكرار ذكر يوم القيامة في كلمات الامير(عليه السلام) وكذلك القران الكريم وبمستويات مختلفة :

الامر الاول : زيادة العلقة العقلية(التنوير المعرفي العقلي) حتى لا يبقى شيء مجهول بنسبة معينة .

الامر الثاني : التنوير القلبي الروحي فعندما يعلم الانسان ان هناك يوم حساب فيه على كل ما قدم وأخر سيرعوي ويقف وقفة جدية مع نفسه ، هذا إن كان يريد مصلحته اولاً وبالذات .

ولذلك الامير(عليه السلام) يلمح بلمحة دقيقة جدا الى إن يوم القيامة النقطة المركزية فيها أنه أخر الايام ، وهذا ما ينبغي أن ينظر اليه بعين الاعتبار ، لكن قد يتبادر بذهن السامع لكلمات الامير(عليه السلام) أنه يصل الى مقصد الامام أن يوم القيامة هو يوم مفروغ منه ، لكن الامير(عليه السلام)يريد ان يصور لنا الامر بشكل اخر ، كما في هذا المقطع من خطبته حول الايمان التي ابتدأنا الحديث بها ، حيث قال(عليه السلام) :

[سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ] فعبارة ابلج اي ليس فيه منعطفات ولا معرقلات ، طريق المعبد الصافي الذي ليس فيه شيء يعرقل حركة الانسان . الطريق بما هو طريق ، نحن لا نتحدث عما يصادفنا في هذا الطريق من معرقلات ، من داخل الانسان ومن الخارج فهذه ليست من مدخولات الطريق .

ثم قال(عليه السلام) : [أَنْوَرُ السِّرَاجِ] اي فيه نور من بدايته .

ثم قال(عليه السلام) : [فَبِالإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ] فالإيمان هو القائد الذي يقود الإنسان ليكون ذو عمل صالح .

ثم قال(عليه السلام) : [وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيْمَانِ] ، هنا سؤال : ما هو الفرق بين الاستدلال الاول والثاني؟

الجواب : في الأولى هو استدلال اجمالي/ النسبي الذي يجعل الانسان منقاد الى الصالحات ، كالإيمان بالله واليوم الاخر(المعاد والحساب) ، اما في الثاني كأن المراد من الاستدلال هو أن الاعمال الصالحة تثبت وتعمق وتركز هذا الإيمان في نفس العامل .

ففي البداية الايمان يكون هشا طريا ، هذا يقود الانسان للأعمال الصالحة ، ولكن عندما تتكرر الاعمال الصالحة يثبت الايمان الهش ويجعله ايمان ذا ركن ثابت في النفس . لذا قال الامير(عليه السلام) [وَبِالإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ] ، فالعلم الذي لا إيمان معه بالله تعالى والمعاد والأخرة يصبح وبال على العالم ، وعلى من يرتبط به .

ثم قال(عليه السلام) : [وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الأُخْرَةُ] ، اي جعل الدين شبكة من أجل أن يصطاد دنياه ودنيا غيره هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كما نرى اليوم يستخدم

علمه من أجل إضلال الناس وإغواء الناس وإبعاد الناس عن طريق الإصلاح والدين .

إذا العلم اريد منه أن تكون ثماره طيبة فلابد أن يمتزج بالإيمان ، فكما عبر الامير(عليه السلام)لأنه في الايمان يعمر العلم . فالعلم والايمان تصبح شبكة يصطاد بها الدنيا ، واخرى يصطاد الدنيا بحبائل الدين .كما ورد في عبائر الامام .

ثم قال(عليه السلام) : [وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ] فالعالم لما يمزج علمه بالإيمان لا يخاف من الموت ، اي يستعد له ، لان القرآن الكريم يعبر عن اليهود (**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) [البقرة : 94] ، أي ان الذي يصدق مع الله تعالى بالاستعداد للقائه لا تصيبه رهبة وهذا هو المعنى الاول ، اما الثاني بالعلم يرهب الموت يعني علمه بالموت يجعله يقظا ، وفي تفكيره لا ينساه(يكون أمام عينه) .

ثم قال(عليه السلام) : [وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا] فالدنيا النتيجة القهرية لها هي الموت (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**) [الرحمن :26] ، وبكل ما فيها .

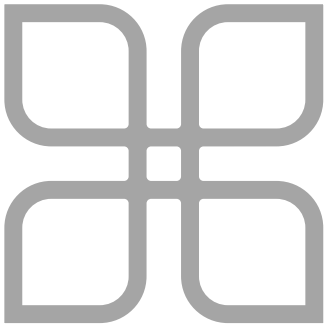

الخطبة [162] [إِنَّ اَللّٰهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيِّنٌ فِيهِ اَلْخَيْرَ وَ اَلشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ اَلْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَ اِصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ اَلشَّرِّ تَقْصِدُوا اَلْفَرَائِضَ اَلْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اَللّٰهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى اَلْجَنَّةِ إِنَّ اَللّٰهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ وَ أَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ وَ فَضَّلَ حُرْمَةَ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْحُرَمِ كُلِّهَا وَ شَدَّ بِالإِخْلاَصِ وَ اَلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ اَلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا]إن كون يوم القيامة هو يوم الفصل لابد أن :

اولاً : يكون مركز في القلوب قبل العقول ، اليوم الذي لا يأتي بعده يوم .

ثانياً : قبل الدار الاخر هناك ثلاث دور ينتقل الأنسان بها من نقلة الى اخرى ، وكل تلك الدور هي عبارة عن الوسائط التي تنقل الانسان من مكان الى أخر ، الغاية هي بلوغ الدار الاخرى(الاخيرة) ، ولذلك ليس من الصحيح أن يستغرق

الانسان بالتدقيق والتفصيل بواسطة النقل وينسى الهدف الذي ذهب من اجله ، ويفوت الغاية التي خلق من أجلها .

امير المؤمنين قال هذه المقولة التي سنكتشف من خلالها أن القيامة بتفاصيلها هي من المحفزات للإنسان لأجل الطاعة والاستقامة ، دائما لو نلاحظ أن الناس ينقسمون الى ثلاث أقسام :(طماع(الراغب)/ الراهب(الخائف)/العاشق) مع الله تعالى ، وبمستوياتهم المتفاوتة وغير المتقاربة ، هذه المستويات الثلاثة لخصوا في بوصلة حركتهم مع الله يوم القيامة لان الراغب الذي يعلم ان الثواب والجزاء يوم القيامة . والراهب الخائف من النار هو ايضا يعلم ان العقاب والنار هو في ذلك اليوم . اما العاشق الذي احب الله وعبد الله حبا به وطمعا برغبته هو يعلم ان وصل محبوبه سيبلغه في ذلك اليوم . بالنتيجة فهذه الاصناف الثلاثة بالحصر العقلي هي عينهم كلهم على يوم القيامة .

لذا القران الكريم والسنة الشريفة من ضمنها نهج البلاغة يثبتون للإنسان هذه الحقيقة ذات الرآسين :

١/ الوسائطية التي هي أنك ايها الانسان لابد ان تجعل يوم القيامة واسطة تحفزك على الطاعة وسبب يحثك على الاستقامة .

٢/ الهدفية أي جعل القيامة هدفك ونصب عينك .

ثم قال(عليه السلام) : [إِنَّ اَللّٰهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيِّنٍ فِيهِ اَلْخَيْرَ وَ اَلشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ اَلْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَ اِصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ اَلشَّرِّ تَقْصِدُوا ،] يعني كتاب من أخذ بهديه وصل .

ثم قال(عليه السلام) : [اَلْفَرَائِضَ اَلْفَرَائِضَ] ، فهي مصداق من مصاديق التي توصل للقيامة ، والامام هنا يتحدث عن الرأس الاول الذي تحدثنا عنه وهو الغاية ، ثم قال [أَدُّوهَا إِلَى اَللّٰهِ] ، فمن يؤدها بشكل صحيح وخالص توصله لله تعالى .

وقوله(عليه السلام) : [تُؤَدِّكُمْ إِلَى اَلْجَنَّةِ] اي أن الغاية من الفرائض(العبادات) بلوغ الجنة ، وكأن هذه العبارة من الامير(عليه السلام) تريد ان تخفف شيء من ثقل وألم العبادات-إن كان فيها شيء من هذا القبيل على العبد بدأً- بأن نهايتها الوصول للجنة ، فيا ايها الناس ضعوا في بالكم إن هناك ثمن أسمه الجنة ، وهذا المثمن مهما كان إن علمت أن سهر الليل بالعبادة ثمنه الجنة ، فإنه سيهون عليك ويقل التعب ؛ فالثمن هو [اداء الفرائض] اما المُثمن فهي[الجنة] ، فلما نقارن نجد إنه لا يوجد تناسب .

قال تعالى :(**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(45)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**)[القمر :55] ، نلحظ انه تحدث في البداية عن الجنة ولذائذها ثم انتقل انتقالة غريبة حيث لذة العشق والقرب والوصال ، وكأن لذة الجنة والحور والولدان والانهر هي مقدمة للذة العظيمة وهي لذة الوصل والقرب (**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3)وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4)**] فهذا اليقين الذي يكسر السكر (الغفلة) في هذه الدنيا ، فوصف حال المتقين أنهم في جنات ونهر هذا جيد ، لكن الاجود انه لم يقل(في) او(لدا) بل قال(عند) .

وقال تعالى :(**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**)[آل عمران : 15] ، لما يصل لوصف الجنة يصفها بثلاث اوصاف :

١/ بما فيها من لذة متنوعة(**جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**) .

٢/ بحجمها(**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)

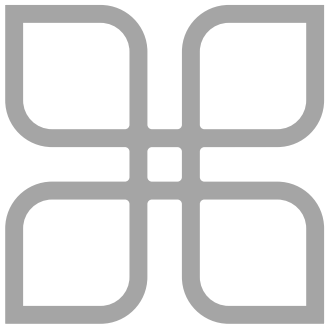

٣/ بخالقها(**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**) ، فهذه الاوصاف بكفة ولكن الوصف الثالث بكفة حيث قال(**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ**) .

فإن قيمة هذه الجنة إن فيها رضوان الله تعالى ، وأنها تحتوي على رضوان الله تعالى ، فما بالك بصفة (عند) ، في بعض الاحيان الاب يظهر رضاه على احد ابنائه ولكن لا يقربه ويدنيه بمعنى جعله عنده دائما ، فالرضا مرحلة ، والقرب مرحلة اخرى .

الخطبة [183] [وَاعْلَمُوا أَنَّهُ (مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) منَ الْفتنَ ، وَنُوراً منَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِه ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلاَئِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ .

هنا يصف امير المؤمنين(عليه السلام)موعظة من مواعظ كتاب الله وأثرها علينا يوم القيامة ، وهي التقوى بقوله [(مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) منَ الْفتنَ ، وَنُوراً منَ الظُّلَمِ ،] فهناك ظلمة في الدنيا معنوية كعمى البصيرة ، وهناك ظلمة اخروية كظلمة القبر .

ثم قال(عليه السلام) :[وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ،] فكلمة (عنده) هو ما يريد ان يوصلنا اليه وهي حالة الارتقاء في النفس الانسانية ، فمن أهم ما يمتاز به الائمة وكلهم ميز ، إنهم يريدون أن يرتقوا بإتباعهم الى مستوى مما هم يحملوه من رقي وإرتفاع في المقامات عند الله تعالى .

ثم قال(عليه السلام) :[فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِه ،] ، فلا قياس بين تلك الدار التي وصفها تعالى بإنها لنفيه ، وهذه الدار التي وصفها الامير في خطبة (180)[أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا

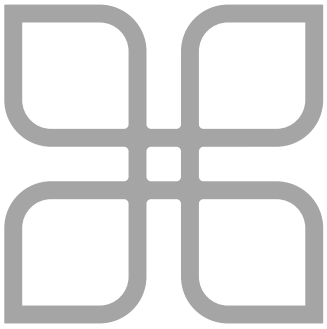

بِأَكْلِهَا ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا] ، فكيف لنا أن نتصور ما هي ، وكيف هي تلك الدار؟ ويا عجبي من بيع هذه بتلك؟! تلك التي لا ينبئك بها إلا خبير [ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتَهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلاَئِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ] .

فهنا الامير(عليه السلام) يصف لنا الجنة وكأنه قد ذرعها ذرعا ، فمثلا عبارة [وَنُورُهَا بَهْجَتَهُ] البهجة هنا الضحكة الممزوجة بفرح ، وهذا ما لا ينطبق على الله سبحانه ، بعض المفسرين يعبر أنما هو امير المؤمنين نور الجنة .

الخطبة [183] [فَبَادِرُوا الْمَعَادَ ، وَسَابِقُوا الآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالإِرْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ!]

قال(عليه السلام) : [فَبَادِرُوا الْمَعَادَ] اي اجعلوه أمامكم ، و[وَسَابِقُوا الآجَالَ] ، فمن يعلم أن الاجل سريع بقدومه ، يكن هو اسرع في التقديم إليه . حيث قال الامير(عليه السلام) [فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ ،] ، فهذه الاوصاف الثلاثة التي وصف بها حال الناس تستوجب من الانسان أن يعمل ليصل إليها ،

لذلك يقول الامير(عليه السلام) [أَلاَ وَ إِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَ لاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا] .

ثم قال(عليه السلام) : [فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ] ، فبعض الناس الذين يموتون يطلبون الرجع ، كما في قوله تعالى : (رب ارجعون) ، وهذا السؤال وهذا الطلب موجود عندك الان لتستفيد من وجودك قبل ان تطلب الرجوع لهذه الفرصة التي انت موجود فيها .

ينقل انه اتى رجل للسيد السبزواري (قدس) وسأله : "ما هي اعظم نعمة؟ قال : العمر فبه ننال القرب ، ثم قال له : وما هي اعظم بلية؟ قال : العمر إذا لم نغتنمه" ، فالعمر هو نقطة الشبه التي تجمعنا ولكن بما نمليه الامر مختلف ، وكما يقال :**"رُبَّ عُمُرٍ اتَّسَعَتْ آمادُهُ وَقَلَّتْ أَمْدادُهُ ، وَرُبَّ عُمُرٍ قَليلَةٌ آمادُهُ كَثيرَةٌ أَمْدادُهُ"** ، فالإنسان في خسر إذا لم ينتفع ويستغل فرصة العمر هذه .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ] فانتم في دار هو السبيل لا المستقر . فما وضعت القيامة إلا لنقوم ، فلنُقِم القيامة في انفسنا لنقوم ، هو لتحذيرنا

وتنبيهنا لكي لا نكون من هذا الصنف ، اي نكون من صنف(**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**)[الفاتحة : 7] .

نقرأ في سورة الانعام [(**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** – فوقوفهم هنا كأنهم ينظرون من الاعلى الى النار فياتيهم الجواب –**بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**(28)] .

فهناك إناس يقفون هكذا موقف ، ثم يأتي تساؤل أخر [فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَينْ طَابَقَينْ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ] يعني مَسنده الذي ينام عليه من الحجر ، و(قرينه الشيطان) اي من يجاوره هو الشيطان لأنه لم يكن من اهل الذكر كما قال تعالى : (**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**) [الزخرف : 36] .

ثم قال(عليه السلام) : [أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ،] واقعا هذه عبارة جدا مخيفة .

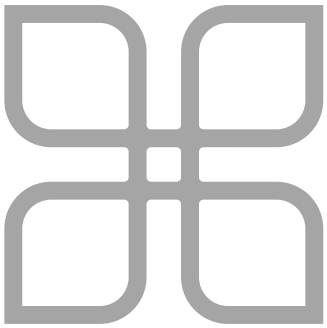

الخطبة [183] [فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا ، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ،

فقوله :[فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ!] هنا النداء للجميع .

ثم قال(عليه السلام) :[وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ،] كلمات الامير(عليه السلام) فيها إشارة حول تبدل الأحوال وتغييرها من حال الى حال ، وهناك كلمة للحكماء يقولون فيها "دوام الحال من المحال" . أي إذا كنت في صحة وحالة جيدة فإنك لا تطمئن لدوام ذلك بل سيأتي يوم من الايام يصيبك السقم ؛ وإن كنت غني اليوم ، فلا تطمئن لدوام غناك فسيأتي يوم تصاب بالفقر . لذا فما زلت صحيح البدن لديك قوة وطاقة

أستغلها ، لأنه يقينا سيأتي يوم من الايام سوف لن تقدر أن تركع ركعتين فقط .

ثم قال(عليه السلام) :[وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ]الفسحة لها ثلاث فهومات :

الفهم الاول : مثلا أنت شاب غير متزوج ، عندما تتزوج تزداد مسؤولياتك فيضيق وقتك ، لوجود شريك حياة يشاركك بوقتك ، فما أن تصبح اب بعد الزواج تزداد المسؤوليات ويضيق الوقت أكثر ، مثلا الطالب مسؤولياته تكون قليلة لا شريك حياة ولا عمل ولا وضيفة فإن وقته يكون أوسع .

الفهم الثاني : أن في عالم الدنيا ما دام الموت لم يأتيك فأنت في فسحة ، متى ما بانت علائم الموت تضيق تلك الفسحة ، فكلما كبر الانسان ضاقت فرصته . فقد ورد إنه" **كل ليلة ينادي يا أبناء العشرين جدوا و اجتهدوا و يا أبناء الثلاثين لا تغرنكم الحياة الدنيا و يا أبناء الأربعين ما ذا أعددتم للقاء ربكم و يا أبناء الخمسين أتاكم النذير و يا أبناء الستين زرع آن حصاده و يا أبناء السبعين نودي لكم فأجيبوا و يا أبناء الثمانين أتتكم الساعة و أنتم غالفون**"(الباب الخامس في التخويف و الترهيب)

الفهم الثالث : الوقت نعمة فأن لم تشكر تُرفع ، إذا لم تنتفع منه وقضيته باللهو فهي ترفع ولن تجد فيها بركة ، وستشغل بأشياء الله وحده العالم بها . ففي دعاء ابي حمزة الثمالي نقرا : "**مالي كلما قلت قد تهيئة وتعبئت للوقوف بين يديك عرضت لي بلية أزالت قدمي ، وحالت بينؤ وبينك سيدي**"

ثم قال(عليه السلام) : [فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا] هنا غلق الرهائن كما في وقع تميز بالحكم في المحاكم ، فالغلق يعني دخول المحكوم عليه بالسجن ، في المحكمة الالهية هناك حكم تمييز ايضا ، وهنا رقابهم مرهونة بما اقترفوه من ذنوب .

فقال(عليه السلام) [أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ،وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ،]إشارة الى إن هذه اعمال خاصة بين العبد وربه تمكنه من فكاك رقبته الان حيث يأتي يوم وينتهي هذا التمييز ، وهذا الاهمال وهي :

ثم قال(عليه السلام) : [أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ] : بالاستغفار والتهجد والعبادة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ] كناية عن الجوع وإشارة للصيام او غيره .

ثم قال(عليه السلام) : [وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ،وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ،] بالمسارعة والمسابقة في فعل الخيرات .

وقال(عليه السلام) [وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسَكُمْ ،] الغريب إننا اليوم نرى عكس ما أشار اليه الامير(عليه السلام) بعض الناس تأخذ من الأخرة لترم الدنيا ، تُرقع الدنيا بتمزيق دينها ، فلا دين يبقى ولا ما نرقعه ، هكذا نستدين من الاخرة لما هو زائل . هناك من يسمن بدنه ويضعف روحه! وهناك من يسمن روحه ويضعف بدنه ، الامام يريدنا من الصنف الثاني ، لأن البدن فاني والاخرة والروح هي الباقية .

وقال(عليه السلام) : [وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا] هنا يشبه الامام لحالة البخل في البذل على النفس وللنفس ، اي أنجوا بالعطاء من ابدانكم لنماء ارواحكم ، [فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ، وَقَالَ تَعَالَى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) ، اسْتَنْصَرَكُمْ (وَلَهُ جُنُودُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ (وَلَهُ خَزَائِنُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ (يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)]

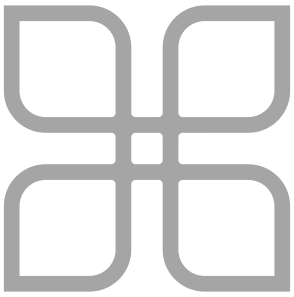

الخطبة [183][فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِه ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً : (ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!]

ولكن كيف يمكن استغلال هذه الفرصة ؟ الجواب على هذا السؤال في الفقرات التي بعدها في قول الامير(عليه السلام) [فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ] المبادرة فيها نواع من الاشارة وحالة من حالات النزوع الباطني للعمل ، فهناك فرق بين شخص يحتاج محفز خارجي يحفزه لدخول في عمل ما هذا لا يسمى مبادر وإنما يقال عنه مُذَكَر ؛ إنما المبادر هو الذي ينهض من نفسه بنفسه ولنفسه . وهنا السؤال : هل نحن من المبادرين ، ام لا؟ هل نحن ممن إذا أذن المؤذن قمنا؟ ام نقوم قبل ان يؤذن المؤذن؟

فهناك من ينتظر الأذان ليس ليتذكر فيقوم وإنما يكون مهيئ فقط ينتظر ان يجوز قيامه ، ليحين وقت وجوب الصلاة فيصلي ، هذا هو من يعيش مع ربه بكل كيانه .

ثم قال(عليه السلام) :[تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ ،] المجاورة تعني اهتممت به وجعلته القريب منك بالقرب المعنوي ، قريب من أوامره ، بعيد عن نواهيه ، هذه هي المجاورة . فإن كنت تريد ان تكون من جيران الله تعالى يوم القيامة كن من جيرانه في الدنيا ، إذا كنت تريد ان تكون روحك مجاورة لله فكن في الدنيا ذو روح مجاورة لربها ، وهذه هي المبادرة . فهذه قاعدة خذها : (**المجاورة=المبادرة**) .

فالمقدمة تكون مطابقة تماما للنتيجة ، بادر بالمجاورة في الدنيا تتحقق المبادرة بالأخرة . تعالى رحيم ودود ولكن أيضا عادل لا يعطيك إلا عن استحقاق وحكيم يعطي بقدر . وإنها لقسمة ضيزا ان تكون جار لصديق ، لحبيب ، لزوجة ، جار لأولادك لكن لم تجاور ربك .

ثم قال(عليه السلام)[رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ،] اي مرافقين للرسل .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ ،] اي تزوركم الملائكة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَكرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَار أَبَداً ،] حتى على مستوى سماع حسيس النار لا يحصل ، وليس فقط النجاة منها .

ثم قال(عليه السلام) : [وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً] اللغوب التعب ينتابك من الداخل ، ام النصب فالتعب لكن مصدره من الخارج .

ثم قال(عليه السلام) [ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!]

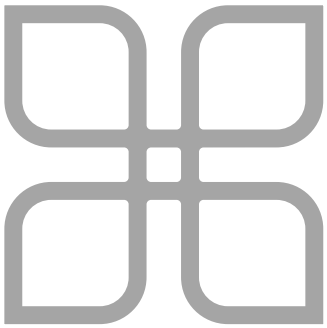

خطبة[190] [فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللّهَ . . .فَاللّهَ اللّهَ عِبَادَ اللّهَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنَ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنَ وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، . . . وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً فَجَعَلَ اللّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ]

هناك إشارة يشير إليها الأمام في الفقرات المذكورة حول موعظة عن يوم القيامة ، وهي وجود ذنب كبير إذا اقترفه الإنسان يعاقب على أثره عقاب عسير يوم الاخرة ، وهو ذنب جوانحي وليس جوارحي هو نسيان وإغفال الاخرة .

ازعم إن هذا الذنب هو سبب انغماس الإنسان في الذنوب فلو كانت الاخرة حاضرة وماثلة في قلبه وكيانه **لأرعوا** عن الموبقات إلا إن المشكلة هي هذه إن الانسان يغفل وينس [فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا] ، امير المؤمنين مرة يتحدث عن القيامة كحالة ، ومرة يتحدث كنشور ، ومرة كجنة ونار ، كل ذلك لماذا؟ ومن اجل ماذا؟ من اجل ان يَعلق الامر في النفس اولا-لأننا قلنا- ان في عالم النفس الانسانية هناك افقان إن جاز التعبير :

- أفق الالتصاق المعرفي المعلومة/افق العقل والتعقل .

- أفق القلب والأستيقان كما في قوله تعالى : [وبالاخرة هم يوقنون] ، اي وجود يقين بحيث يسيطر على النفس داخليا . والقرآن الكريم لا يمكن أن ينتفع منه الأنسان إذا لم يحصل لديه يقين . إذ يقول الله تعالى إن أعظم الذنوب هي الغفلة عن الأخرة ، فأن ينسى الأنسان أي شيء من متعلقات الدنيا وعلاقته بها قد يهون لكن أن ينسى ربه هذا غير مقبول وفيه خطورة .

في سورة السجدة يقول تعالى : (**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَيَوْمِكُمْ هذَا**)[السجدة :14] فهذا العذاب الذي تذوقه أيها الانسان هو نتيجة نسيانك ، وهناك تفسير أخر للطبرسي يقول "لأنكم بنسيانكم للقائكم هذا في يوم القيامة تجرأتم واقترفتم الذنوب ولهذا سنعاقبكم على ما اقترفتم" . فاعظم ذنوب الدنيا نسيان الله ولقاءه يوم القيامة ، وأعظم عذاب يوم القيامة هو نسيان الله تعالى للإنسان .

امير المؤمنين يعقب [وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ] كما في قوله تعالى : (**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . . .**)[الزمر : 73] ، يعني جماعات (مجموعات) قد آمنت العذاب ؛ بالمقابل (**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا . . .**)[الزمر : 71] .

وفي قوله تعالى :(**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**)[آل عمران : 185] ، فهنا كلمة زحزح فيها تحذير للإنسان لكي يكون حذر فقد يكون ممن سيدخل النار لكن زحزح عنها اي ابعد .

ثم قال(عليه السلام) : [وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ] ، وكما في قوله تعالى :(قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[المائدة : 119] . فمع الرضا لا يوجد عتاب ولا عقاب ، حيث هناك عقاب ولا عتاب ، وهناك من يعاقب ولا يعاتب وهذا عذاب اشد فإن فيه استصغار وهم أهل العناد ، وهناك من لا يعاقب ولا يعاتب وهو المرضي عنه ؛ فمصير المرضي عنه مفروغ منه .

ثم قال(عليه السلام) : [وَرَضُوا الْمُثْوَى وَالْقَرَارَ] يعني لا يوجد شخص يدخل الجنة الا وهو راض .

ثم يصف لنا اعمال هؤلاء في قوله :

١ . [الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً] اي اعمالهم طيبة خالصة نقية .

٢ . [وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ،] البكاء هنا على أثر الخشية والحب والحسرة على التفريط في جنب الله تعالى ، فعندما تقف بين يدي الله تعالى وتبكي لا يمكن أن تكون حسرة على ما نزل بل على ما بقي ، فإن العبد إذ جلس بين يدي الله وبكى من خشيته اقر الله عينه .

كما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام)إن إبراهيم النبي عليه السلام قال : "**إلهي ما لعبد بَلَّ وجهه بالدموع من مخافتك؟ قال : جزاؤه مغفرتي ورضواني يوم القيامة**"(بحار الأنوار ، ج ٩٠ ، ص ٣٣٤) ، فخوف قليل في زمن قليل ، يعطيك من آمان الله وقرة عين في زمن لا حد له ، فأي نتيجة عظيمة هذه في قبال مقدمة صغيرة كهذه ؛ ولكن من الجيد الالتفات الى أن هناك فرق بين من يبكي على ذنب ، واخر يبكي شوقا على الرب ، إلا إن كلاهما تنطبق عليهما عبارة الامير(عليه السلام) .

٣ .[وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَارًا ،] ، إشارة الى يقظتهم في الليل كثيرا وليس إنهم دائما في الليل لا ينامون ، فبعض المسؤوليات والمشاغل تحتاج ان ينام الانسان ليستيقظ نشيطا كما في قوله تعالى : (**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**)[الذاريات : 17] .

وهنا عبارتي [تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَارًا ،] اشارة الى الجوارح والجوانح ، فالعمل الاول(قلباني) اشارة الى الجوانح اي بالقلب عبر التخشع ، والعمل الثاني الى الجوارح وهو التعبد بالجوارح اي باللسان عبر الاستغفار . فالبعض يقضي جل وقته بالذكر

ولكن دون حضور قلبي وخشوع ، فاللسان بالذكر يلهج ولكن القلب لم يخشع .

٤ . [وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً] بأختصار هنا يشير المولى الى الانقطاع من دون تعلق ، اي انقطاع(بي) ولا تتعلق(لي) ، ان اقل ما على الانسان تقديمه لربه هو هذا .

يمكن للأنسان ان يتوجه لشيء كمعاشه ودنياه ولكن التعلق بهذه الاشياء هو المذموم ، بل إن التعلق بغير الله تعالى يقطع التعلق بالله تعالى بقدر ما يتعلق الانسان بشيء غير الله تعالى وينعكس على علاقته به .

ثم قال(عليه السلام) : [فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً] يتحكمون ويتصرفون بها ، ومآبا اي ختاما .

ثم قال(عليه السلام) [وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً] فمن اجتاز بلاء الدنيا ومتاعبها بالصبر فان له الجزاء والثواب .

ثم قال(عليه السلام) [وَكَانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها] اي أنهم يدخلونها باستحقاق لا منة عليهم بإدخالهم إياها ، وكل ذلك[فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ] .

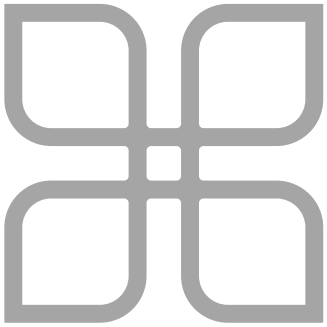

خطبة [١١٤] [إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا : فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ]

القرآن الكريم صنف الناس لأصناف كثيرة لكن الصنفان البارزان هما المنعم عليهم ، والمغضوب عليهم . والامام يريد أن يلمح ان كل ما في الدنيا من خيرات وملذات وطيبات والقناطير المقنطرة

وكل ما فيها إن لم يقود الانسان الى الله سبحانه ، والى السعادة الاخروية فهو وبال على وبال ، لكن اذا قاده الى الله تعالى فقد فاز بذلك الانسان في الدنيا والاخرة ، ومن كلمات الامير(عليه السلام) القصار التي نستطيع ان نعبر عنها بإنها كلمة المفتاحية يقول فيها : "من كرُمتْ عليه نفسُه هانت عليه شهواتُ" فالذي يكرم نفسه ويجد أن لنفسه عليه حقا سوف لا يرى لأي شهوة في غير ما احل الله تعالى لذة ، فتهون أمامه وفي عينه هذا على المستوى الدنيوي ، فكيف على المستوى الاخروي ، هذا اولا .

وقوله : " إِنَّمَا الْفَقْرُ وَالْغِنَى بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" فإن اردنا ان نصف شيء بشيء فعلينا أن نصف بشيء يدوم ، والدنيا بكلها لا تدوم . فإذا كان هناك فقر او غنى فهو ليس في هذه الدنيا لأنها مرحلة وقتيه لا أكثر ولا أقل . إذ إن الغنى والفقر مقياسه بعد أن يعرض الناس على الله تعالى ، فالذي يحوز على الجنان فهو الغني ، والذي يدخل النار هو فقير بائس ، وهذا هو "قانون الغنى والفقر الحقيقي" .

فإذا أردنا أن نقيس شيء اسوء من السوء هو العقاب . فالقتل شر ، أما ما هو الاكثر شر من القتل هو نار جهنم التي هي جزاء اقتراف فعل القتل .

بالمقابل إحياء النفس خير ، وخير منه هو جزاء من يحيها وهي الجنة . كما عبر الامير : [إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ .]

وفي حديث قدسي [**اعددت لعبادي الصالحون ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**] فهذه رسالة لنا إذا أردتم أن تستفيدون من الاخرة فأنتم لا تحتاجون أن يأتي اليكم ربكم وينزل لكم الأخرة ويجسدها لكم بل الاخبار عنها بمفرده عبر الآية والرواية والحديث الوارد عن حجج السماء كافي أن تيقنوا بها ، تتعظوا بها ولذا المتقون من هم؟ [هم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن رآها] لانهم يعلمون إن كل وصف دون الموصوف ما لم تنزل القيامة الى مرتبة اليقين بالقلب والروح .

وعن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)يقول : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب من الأنصار وهو في المسجد يخفق ويهوي رأسه ، مصفر لونه نحيف جسمه ، وغارت عيناه

في رأسه ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كيف أصبحت يا فلان؟ فقال : أصبحت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) موقنا ، فقال : فعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله : وقال له : إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة يقينك؟ قال : إن يقيني يا رسول الله هو أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري ، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها ، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها ويتعارفون على الأرائك متكئين ، وكأني أنظر إلى أهل النار فيها معذبون يصطرخون ، وكأني أسمع الآن زفير النار يعزفون في مسامعي ، قال : فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله)لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبه للإيمان ، ثم قال : الزم ما أنت عليه ، قال : فقال له الشاب : يا رسول الله ادع لي أن ارزق الشهادة معك فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله)بذلك ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر" . (بحار الأنوار :ج ٦٧ – ص ١٧٥) .

ثم قال(عليه السلام)[وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْأُخرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْأُخرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا] ، مثلا النوم يؤخذ منه الى الاخرة ، المال تأخذ منه وتنقصه لأجل الاخرة ، الأخذ من راحة الدنيا و إنقاصها للأخرة ، إذا نقصت الدنيا على حساب الأخرة أفضل . . . إذا كان النقص في كمال دائم او غير زائل او غير دائم ، أيهما تقدم؟ أي نقص؟ العاقل بلا شك إنه يختار من هو زائل والى زوال فيضحي به .

لذلك علماء النفس لو سألناهم ما هي أطول لحظة في عمر الانسان؟ هو بالحقيقة منذ خروجه من بطن امه عمره في تناقص والتآكل ، ولكن هناك فرق بين عمره ينقص باللعب واللهو ام عمر ينقص بالطاعة والعبادة ، فعن الامام الصادق(عليه السلام) : "**الخاسر الذي باع أخرته بدنياه**" ، وهذه الخسارة تتبين للإنسان عندما يأتي يوم القيامة ويكتشف أنه قرر خطأ ، ومشى خطأ وعمل خطا(**فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ**)[ص : 3] .

وبالمقابل هناك[فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ!] ، نحن لدينا في المتعارف إن النقصان قباله الخسران .

فنحن نرى في الدنيا أناس تزداد أموالهم ووجاهتهم ومناصبهم إلا أنهم منقوصون خاسرون ، وهناك من ينقص ماله ولا جاه لديه لكنه رابح وفي زيادة عند الله (**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) [يونس : 58] ، هب أنك استطعت أن تملك قلوب مجموعة من الناس الى اي وقت ممكن يبقون معك ، هب أنك استطعت أن تملك مال الى أي وقت هو سيبقى بحيازتك ، دائما تقول إذا اردنا أن نعرف قيمة الدنيا فلتنظر الى الميت من يدخل معه ، وماذا يدخل معه ، وماذا يبقى معه؟ فلا ابن ولا اخ ولا زوجة ولا حبيب ولا رفيق ولا صديق ، يدخل وحده فإن كان ذو عمل صالح كان من الرابحين ، وإن كان غير ذلك فقد خسر خسران مبين .

ثم قال(عليه السلام) [إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ] هذه قاعدة علوية تحتاج تأمل .

كما قيل (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : ج ٣ ، ص ٣٣٦)[إنما الدنيا عوار * والعواري مسترده /شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده] .

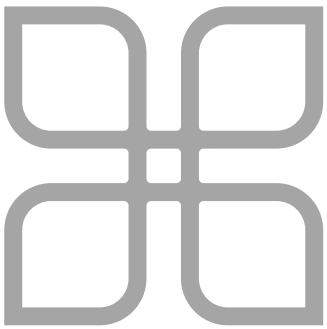

[خطبة [83]]وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاط وَمَزَالِق دَحْضه وَأَهَاوِيل زَلَلَهَ وَتَارَات أَهْوَاله فَاتَّقُوا اللهَّ عِبَادَ اللهَّ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمه وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمه وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاته وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانه وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانه وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالك إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْه مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى وَرَاحَةِ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمه وَآمَنِ يَوْمه وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَقَدَّمَ زَادَ الأَجِلَةِ سَعِيداً وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَرَاقَبَ فِي يَوْمه غَدَهُ وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً وَكَفَى بِاللهَّ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً] .

علينا ان نستفيد من نصوصنا الدينية وتراثنا لكي نعمق القيامة في دواخلنا ، وهذه نعمة كبيرة ، فما زال الانسان حي

فهو يستطيع أن يستكثر من الخير ويزداد قربا من الله سبحانه وتعالى ، فما ان ينقطع النفس حتى ينتهي عمل الانسان وتحترق ورقته . ولذلك علينا أن نحاول كلما وجدنا موعظة عن يوم القيامة ، آية ، نص روائي علينا أن نحاول أن نستكثر منها ونستفيد منها :

اولاً : لبلوغ كل خير لأننا شئنا ام ابينا ، آمنا أم لم نؤمن فإن يوم القيامة آت .

ثانياً : هو مقبل وآتي إلينا .

ثالثاً : سنحاسب هناك .

فالأمير(عليه السلام) عندما يصعد المنبر ويخطب ويتحدث عن يوم القيامة إنما يتحدث لأجل أن يلفت أنتباه الناس لهذا اليوم المصيري ، ولكي لا يتعاملوا معه على إنه يوم ماضوي ، او إنه يوم مستقبلي سيأتي لكن ليس هناك اهتمام وترتيب أثر من حيث الاستعداد والتزود له لأنه سيأتي .

ففي هذه الخطبة يتحدث الامير(عليه السلام)عن الصراط ، وكيف يمكن أن نستفد منه حيث قال : [وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ]فكلمة مجازكم يعني ممركم .

فالأمير(عليه السلام) أراد بهذه العبارة حصر المجال على الصراط يعني لا يستطيع الانسان أن ينتقل من مرحلة ما قبل الصراط الى مرحلة ما بعده إلا من خلال الصراط . هناك لا يوجد تحقق لمفهوم (كل الطرق تؤدي الى كذا) إنما هناك هذا الطريق هو فقط يؤدي الى كذا) فهذا الطريق اي الصراط هو الذي يحدد إما الجواز للضفة الاخرى او السقوط او لا يعبر ويبقى على تلك الضفة .

وقوله(عليه السلام) : [وَمَزَالِقِ دَحْضِه ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهَ] ومزالق دحضة أي انقلاب الرجل كما في حالة المشي والتعثر ، وكأنه يمشي على ارض غير مستوية ، او تصاب رجله الالتواء ، الامام يطلق عليها (بالمزالق الدحضة) ، وكما هو معلوم ان الصراط في يوم القيامة كما يفسرون الماضون هو صورة ملكوتيه لحياة الانسان في عالم الدنيا لا أكثر ولا اقل .

قوله(عليه السلام) : [وَتَارَاتِ أَهْوَالِه] تارات يعني الدفعات حيث يمكن ان نعبر عنها بالمرحلة الدفعوية شيء بشيء ، ثم بين الامير(عليه السلام) كيف للإنسان ان ينجوا على الصراط بقوله[فَاتَّقُوا اللهَّ عِبَادَ اللهَّ] .

ثم قال(عليه السلام) : [تَقيَّةَ ذي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِه وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِه وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِه وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِه وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِه وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ] الامير(عليه السلام) هنا يمدح الانسان ويبين تلك الصفات والافعال التي توصله للجواز على الصراط .

ومن ثم قال(عليه السلام) [وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ] فاتلات الغرور هي المتع الدنيوية فكل ما في الدنيا هو متاع غرور فما في الدنيا من أشياء هي بالظاهر جيدة وفي صالح الانسان لكن احيانا باطنها قاتل .

وقوله(عليه السلام) : [وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ] ، اي يصبح كما فب بوله تعالى : [**فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ**] (هود :28) ، وقوله :[**وَزَيَّنَ لَهُمُ**](النمل :24) ، أي من غير بصيرة ، فلا ينظر للأمور بنظرة واقعية حقيقية ، من خلالها يكتشف أن هذا لواقع عليه .

وقوله(عليه السلام) [ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى] ، كما في قوله تعالى : [**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ**](الحديد : 12)

و[وَرَاحَةِ النُّعْمَى] ، هي كناية عن سعة العيش الاخروي .

[فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنِ يَوْمِهِ] اي لا منغصات فيها .

[وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً] هذه العبارة دقيقة ففي كتاب الله عبر(كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) [القيامة :20] وهي الدنيا والتي عبر عنها بإنها معبر ، وهذا الانسان الصالح المتقي قد عَبر هذه العاجلة ، ولم يجعلها آجلة ولا جعلها شيء مستقر بل (حميدا) غير مذموم من قبل الله تعالى .

وهنا كل إنسان لو نظر لحياته بكل تفاصيلها وسال هل هو يتعامل مع كل ما يعيشه على إنه معبر عاجلة أم مستقر آجل؟ مخاصمات لأجل المال ، خصومات مع الجار القريب ، ومع البعيد لأجل امور دنيوية زائلة ، ترى هل مثل هؤلاء يصدق عليهم قول إنهم تعاملوا مع الدنيا على إنها مرحلة معبريه أم أجلية؟

ثم قال(عليه السلام) : [وَقَدَّمَ زَادَ الأَجِلَةِ سَعِيداً] فمن اكرم واربح من هذا الأنسان ، الذي لا دنياه قد عاشها كلها منغصات ، ولم يخسر أخرته بل سيعيشها بلا منغصات .

والسؤال هنا : كيف يتعامل هذا الانسان مع هذه الدنيا على أنها معبر عاجل؟ إن من اهم صفات الدنيا وميزاتها هي إن كل ما فيها على شكل عارية اي كما يعبرون إعارت الشيء من الاستعارة ، فالإنسان عندما يعطيه تعالى شيء ما ، هل هو ولد معه؟ وعندما يؤخذ منه شيء ما ، هل هو الذي جاء به ايضا؟ يقينا الجواب : لا . قال تعالى :(**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) [156] ، فالمصيبة هنا لها معنين :

الاول : المصيبة التي تصيب الإنسان سواء بفقد شيء او حبيب او بدخول شيء غير محبب لحياتنا ، وهذا يفيد إننا ملك لله تعالى وخاضعين تحت إرادته .

الثانية : المصيبة إما تكون لك او عليك (إلا ما كتب لنا) الآية تقول (ان المصيبة لنا) ، فالله تعالى لا يصيب الإنسان بشيء إلا إذا كان خير له ، لأن الإنسان ملك الله تعالى ، وتعالى لا يعبث في ملكه ، ولا يخرب ملكه ، وهو المتصرف والمتعامل مع الامور بكل شيء .

لذا الامير(عليه السلام)يبين كيف للإنسان ان يركز ويستفيد من وجوده في هذا المعبر لينجوا في يوم القيامة فيقول [وَبَادَرَ مِنْ

وَجَلٍ وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً] ، وذلك عبر :

١- الاكثار من الطاعات ، عندما يعلم الانسان إن التكامل والتفاضل بالأعمال والطاعات فسوف يستكثر منها ، وعندما يعلم إن كل عمل يعمله يقربه من الفوز بالجنة والنعيم يوم القيامة سيزيد من جده واجتهاده .

٢- نحن نؤمن ان للذرة قيمة عند الله تعالى كما في قوله(**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**(7)**وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) (8) ، لن يتهاون باداء وإنجاز اي عمل خير مهما كان صغيرا ، وبالمقابل يتجنب كل سيء مهمة كان صغير .

٣ . ان كون صفة الطاعة يغلب عليها الحسن لان الناقد هو الخبير البصير ، أحيانا الانسان يكثر من الطاعات ولكن ما هي قيمتها بالباطن؟ لا شيء! في يوم القيامة لا وزن لها ولا قيمة لها ايضا ، قال تعالى : (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور** [الملك :2] . فالأحسن تتطلب ان تكون ذات نوعية جيدة ، فكلما كان العمل خالصا

واكثر كلما كان جواز الانسان عبر الصراط اهون وأسهل .لذا فالغش مع رب العالمين لا ينفع كما في قوله تعالى : (**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**) ، وقول (**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)(غافر :16)

فالله تعالى لا يرى كمية العمل بل كمية ونوعية العمل ، يرى ظاهره وباطنه . وقال تعالى :(**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا**) [11] ، لذا ورد عن الخاتم عليه الصلاة والسلام إنه قال : "**يا أبا ذر! واخلص العمل فإن الناقد بصير** ."

٤- إن يقلل من الاوزار ، قال تعالى :(**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**) (قد) هنا تحققيه ، اي لا مجال هناك او فرصة فالخيبة متحققة والخسران إذا اتى الفرد وهو يحمل ظلما لغيره .

٥- الصدق مع الله تعالى والاطمئنان بعطاءه ، فالذي يؤمن أن هناك جزاء يوم القيامة يعلم أن هذه الدنيا ليست نهاية المطاف ، فكونك فقير في هذا العالم ، هذا لا يوجب اليأس لان هناك تعويض وجزاء ، ففي قاموس الله تعالى لا يوجد إلا الاطمئنان .

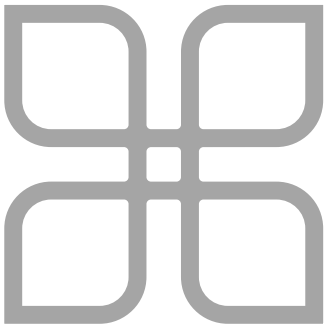

خطبة[157][عِبَادَ اللهِ اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاَ يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ]

إذ قال(عليه السلام) :[عِبَادَ اللهِ اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ] هنا يا ترى من هي اعز الانفس عليك(الام ، الاب ، الابن ، الزوجة ، بلا شك النفس هي اعز ، والدليل إن الانسان يوم القيامة عندما يخير بين نفسه وزوجته وابناءه ليس لديه اهم من نفسه .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللهَّ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ] الامير(عليه السلام) يقول إن لا عذر للإنسان لأن طريق الحق واضح من قبل ان تدخلوه ، ومُنار يعني فيه مصابيح دجى .

ثم قال(عليه السلام) : [فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ] الامير(عليه السلام) هنا يصنف كما في علم المنطق إما سعادة دائمة وإما شقاء دائم .

ثم قال(عليه السلام) : [فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاء لأَيَّامِ الْبَقَاء] ، وهنا الزاد كما بين كتاب الله بحيازة التقوياَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ (**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**)[البقرة :197] .

ثم قال(عليه السلام) : [قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ] اي دللناكم على الزاد وعلى طريق المسير ، لان هذه الدار ليست دار رقدة إنما سير .

ثم قال(عليه السلام) : [وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ] ، والظعن بالعربية المجموعة من الركب التي جلست واستقرت اي اظعنت ، مثلا أناس ذاهبون الى الحج في السابق يسيرون عبر

البادية والظعن هو الركب الذي استقر في مكان من اجل أن يخيم او يستراح به لفترة معتد بها .

ثم قال(عليه السلام) : [فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاَ يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ] فانتم كركب تسيرون كما في قوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**)[الإنشقاق :6] ، فالركب هو الذي يستريح وهو واقف ، مثلا ينتظر احد قد تأخر ويريد ان يلحق بهم ، او وقف ليستقي الماء ، ولذلك الركب إحتمالية مسيره واستمراره بالحركة نحو المقصد أكبر من الظعن .

لذا الامير(عليه السلام) يعبر عن حالنا في الدنيا ليس كظعن بل كركب ليس من شؤونهم التوقف عن الحركة ، هم لا يجلسون ولا ينامون لانهم لا يدرون متى يؤمرون بالمسير ، والركب له قائد والقائد يعطي الاوامر الجميع ومجموع الركب عليهم ان يطبقون الاوامر وهم واقفون ، بل وهم في حالة تأهب وانتظار للأوامر ؛ فوصف الامير(عليه السلام) دقيق والمفترض أن يكون هذا حال كل إنسان يرى أن الموت يقع في كل آن وبكل وسيلة غير متوقعة .

ثم قال(عليه السلام) : [فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ] الامير(عليه السلام) ينبه الانسان إنك يا أبن ادم انت مخلوق لشيء اعظم واكبر من الدنيا ، [وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ]

ختاما : ما هي الاعمال التي تنجينا يوم الاخرة؟

– سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :(**من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفِّس عن معسر ، أو يضع عنه**) .

–عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهلي رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ** . . . رواه مسلم (804) .هذا عنوان جديد في العلاقة بين الانيان وكتاب الله وهي عنوان المصاحبة ، فإن اردته ايها الانسان صاحب لك في الاخرة ، فصاحبه فؤ الدنيا .

– سَمِعْتُ رَسُولَ اللهّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : «**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» . رواه مسلم .

–قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**) .

-وقال صلى الله عليه وسلم : (**ألا أخبركم بأحبكم إلى الله ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة) ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (أحسنكم خلقا)** . النبي يقول اقربكم (مني) ولم يقل اقربكم (لي) .

◇ 》 الفصل الثاني : مواعظ عن الشكر

مقدمة

قال تعالى :(**مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**)[النساء : 147] ، نلاحظ في هذه الآية عدة امور :

١/ الآية تقول(**مَّا يَفْعَلُ اللهُ**) أي ما يصنع تعالى إن حققتم شرطي الشكر والايمان ، فلا نفع يعود عليه إنما النفع يعود لكم واليكم .

٢/ نلحظ ان الشكر قدم على الايمان ، فهذا يدل على مقولة قالها بعض الحكماء والفلاسفة والتي تقول : إن الكون بُني على تسخيرين : تسخير التكريم ، وتسخير التصريف ، فالأول مقتضاه الشكر ، والثاني مقتضاه الايمان .

ولذلك قال لنا (**إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**) لان الله سبحانه ليس كالبشر يطلب ثم يعطي ، إنما جل اسمه يعطي ثم يعطي ثم يكرم ثم ينعم ثم يزيد ثم يقول لنا آمن ، وكأنه يتعامل معنا تعامل المقايضة (اعطيك وأعطيني) مع إن الله تعالى مالك كل شيء ، مالك الانسان وما يملك الانسان . فإنه بداية الانسان ونهايته واخرته كما قال تعالى(**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**)[الفاتحة : 4] .

وهذه نقطة مهمة إن الله تعالى يسخر الانسان اماً حنونه ، واب طيب رؤوف وأجواء ملائمة ، ومن ثم يهيئ له مطعمه ومشربه ومنامه ثم يحفظه من ملمات الدهر ، ثم يكبر الانسان ، متى يطالب الانسان بالإيمان الفعلي؟ بالنسبة للذكور بعد ١٥ سنة ، يعني هو خلال هذه ١٥ سنة متنعم بنعم الله تعالى وافضل انواع الخدم الالهية وبعدها لما يقال له اشكر وامن الغريب أن البعض من الشباب والشابات يقال له (**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي**)[طه : 14] فيُدبر!!

٣/فكما ان لان (**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**) [إبراهيم : 7] هناك [**وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**] ، إذ لم يكن مثلا قبال الشكر جحود بل وضع في قبال الشكر الكفر ، لماذا؟ لان هذه النعم التي اعطيت لك ايها الانسان هي مقدمة لهذه النتيجة وهي (**وَآمَنتُمْ**) .

لذا الانسان عليه أن يخجل من إدباره وعدم تحقق الايمان فيه مع كل هذه النعم والعطايا الالهية ، حيث كل يوم يخاطب الانسان بخطابين وهو يأخذ واحد ويتثاقل عن الاخر :

الخطاب الاول : اليك عبدي ، فهو يسارع لتلبية هذا الخطاب ، يقول نعم ويأخذ ، فمن يجرأ أن يقول لا او يرفض النعم ، او يقول لا يارب ، لا اريد .

الخطاب الثاني : اليَّ عبدي ، وفي هذا الخطاب ترى الانسان يتكاسل ويتثاقل .

فمن الظلم الكبير والاجحاف الكثير بالرب الكبير الكريم الخبير البصير ان نتعامل مع (اليك) بسرعة ومع (اليَّ) ببطء . لذا فليسال كل واحد منا نفسه : كيف يتعامل مع هذين الخطابين هل التلبية تكون بنفس السرعة ام لا .

إذا فإن تجليات الكون تحتاج الى شكر الله وحمد لله ، وتجليات التصريف أيمانا بالله وتوحيدا قال تعالى : (**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**)[آل عمران : 193] (فأمنا) بقوله هنا أسرع من (ثم ءامنا) ، بقوله :(**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا**)[النساء : 137] يعني سرعة الاستجابة اكبر الى خطاب اليّ .

كيف نشكر الله؟

لشكر الله تعالى درجات :

الدرجة الاولى : الشكر اللساني بقول شكرا لله حمدا لله .

الدرجة الثانية : الشكر القلبي وهو اعلى من الاول ، عندما يكون القلب خاضع وشاكر وممتن لله ولعطاياه ، احيانا اللسان يقول شكرا لله ، ولكن في القلب الف الف اعتراض وجحود .

الدرجة الثالثة : الشكر العملي وهو ارقى وانقى واسمى درجات الشكر ، وهو عندما ينعم الله تعالى على العبد بنعمة يشكره بها ويجعلها سبيل لطاعته ، كما قلنا الشكر طريق من طرق الاقرار بالنعمة واستقرارها .

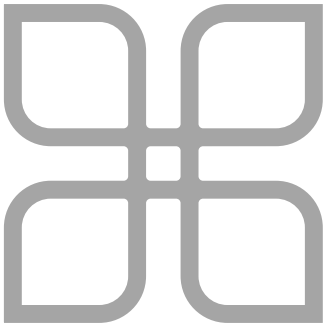

الحكمة [425] [إِنَّ للهِ عِبَاداً اخْتَصَّهُمْ اللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ]

[لِمَنَافِعِ] الام التعليل ، واختصاصهم بشرط أن لا يستأثروا لأنفسهم ، وإنما لينفقوها على عباد الله تعالى ، فإن ارادوا بقائها بأيديهم أن ينفقوها ، فإن منعوها نزعت منهم .

فعبارة[نَزَعَهَا] عبارة لطيفة إشارة أن النعمة ليست بينها وبين الانسان علقة ذاتية ، وإنما هناك علقة عرضية . مثلا كل واحد منا لا يخرج وهو عالم ، كما قال تعالى : (**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[النحل : 78] ، فكل منا يولد جاهل ثم يتعلم ، فعندما يتدرج الانسان في طلب العلم وتحصيله فإن انفقت منه زاد ونمى وبقى ، وإن لم تبذله ينتزع منك كما ينتزع

الغسال ثياب الميت ؛ لأنك مع عطايا الله تعالى لا حول لك ولا قوة ، إن سلبت لا تتمكن من استرجاع شيء منها أو ابقاء شيء منها ما لم يأمر هو بذلك سبحانه .

ثم قال(عليه السلام)[ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ] اي ايها المنعم عليه ليس المشكلة انها تسلب بعدم الانفاق بل تحول وتعطى لغيرك ، وهنا الأنسان يتحسر على ما خسر ، ويصاب بالحسد لمن انتقلت اليه النعمة ، وهنا نصل لنقطة مهمة علينا الالتفات لها وهي الاستعانة بشكر النعم على طاعة الله سبحانه ، والحفاظ على سلامة قلوبنا من مرض الحسد .

فللشكر إذا مراحل ثلاث :

الاولى : الاقرار بالقلب ان النعم من الله تعالى .

والثانية : الاستعانة بالنعم على طاعة الله تعالى .

والثالثة : اظهار الشكر باللسان .

والامير(عليه السلام) يوضح في حكمة من حكمه في النهج عنه (عليه السلام) :" أقل ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه"(نهج البلاغة : الحكمة 330) ، هنا نصل لثلاث التفاتات :

١- المذبذب من لا يستعين بالنعم على الطاعة ولا المعصية كما قال تعالى : (**مُّذَبْذَبِينَ بَينْ ذَلكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**)[النساء : 143] .

٢- ذات اليمين من يصرف النعم في الطاعات ، كبناء المساجد ، يساعد المحتاج ، . . .الخ .

٣- ذات الشمال من يصرف النعم في معصية الله وكأنه يحارب الله بسلاح اعطاه الله إياه .

وكتاب الله تحدث عن طريقة الموازنة بين الامرين بقوله : (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) ، لماذا؟ (**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ**)[القصص : 77] ، فلا نبي ولا وصي ولا عارف يقوا لك : اترك الدنيا وتوجه فقط للأخرة ، لكن ليس من الجيد والإنصاف ان تترك الاخرة لأجل متاع الدنيا .

تعالى قال (ابتغي) اي أجعل ما أتاك الله به جسرا يوصلك الى الاخرة ، لان ما اتاك الله تعالى به إنما هو أحسان من الله تعالى وفضل ، وقد فضلك به على غيرك ، فالمرجو أن تحسن بما اتاك وأحسن به اليك ، فأنت بما اتاك من مال كان بالإمكان ان تكون فقير بلا مأوى ، انت بعلمك كان بالإمكان ان تكون

جاهلا أمي لا تقرأ ولا تكتب ؛ من اين اتاك أليس من الله تعالى كما في قوله :(**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**)[النحل : 53] ، لذا المطلوب هو تحقيق هذا المعنى (**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**) [الرحمن : 60] ، كل هذا لابد ان يتحقق لان هناك إحسان سابق عليك ، وبالمقابل هذا الابتغاء الممدوح ، وهناك ابتغاء مذموم نهي عنه بقوله تعالى (**وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) والمفسدون الذين يفسدون بالأرض أنما يفسدون بنعم الله التي وهبها .

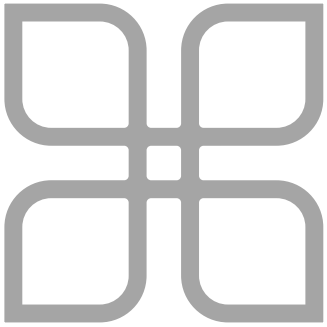

حكمة [١٣] [إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلاَ تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ] ، اي اذا وصلت النعم فشكرها يجعلها قارة عندكم ، وكفرها يجعلها نافرة .

على ماذا نشكر الله تعالى وعلى اي نعمة من انعمه؟

الجواب : هناك مجموعة نعم مفصلية لابد من شكرها :

النعم الاولى: نعمة الخلق من اللا شيء

فإن نعمة الوجود التي هي نعمة سابقة نتنعم بها كل يوم ، ربما أننا نشكر على النعم المادية كالطعام والشراب أكثر من نعمة الوجود ، والسبب لان نعمة الوجود قد استغرقنا فيها واستغرقت فينا ، ولم نبقى نشعر بقيمتها واهميتها ، ولذلك القران الكريم يذكر الانسان بهذه النعمة .

اما ما قاله الامير(عليه السلام)وما هو الحجاب بين الانسان وبين هذه النعمة هو قوله في **خطبة**[185] [وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] ، فالأمير صب البحث على التفكير لان نعم الله تحتاج من الانسان ان يتفكر بها لأن الاحصاء محال لكن التفكير والتفكر معقول ومقدور عليه ، حيث يقول الامير(عليه السلام) إن المستشعر لقدرة الله تعالى هذا كافي لإرجاعه للطريق لذلك اهل البيت دائما يذكروننا بهذه العبارة(ان الله أنعم بآل محمد عليكم) اي علينا أن نتعامل معهم تعامل النعمة التي تشكر لا ان تنكر وتهجر وتذبح وتبقى على الرمضاء كما فعلوا بسيد الشهداء .

ثم علل الامير(عليه السلام)سبب ذلك بقوله [وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ] فليست المشكلة في خفاء النعم عن الانسان فلم يراها ، بل هناك مشكلة في الانسان الذي جعلته لا يراها وهي كما في كتاب الله يعلل ان في قوله تعالى : (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)[محمد :24] ، وقوله : (**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) [المطففين :14] ، فالداء والدواء ليس من الخارج وانما في الداخل انه في القلب . فهناك

القلب السليم ، وهناك القلب العليل وهو خلاف القلب السليم ، العليل فيه شيء من الكبر والغرور ، اكل مال الحرام... .

ثم قال(عليه السلام) :[وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ] اي داخلها حرام ، بينما البصائر الصافية غير المدخولة هي التي لم يدخل فيها شيء من الحرام ، وإلا تصبح عليلة ليست بصيرة ولا باصرة ، وحياتنا الدنيا تعتمد بالكلية على القلب والبصيرة .

ثم قال(عليه السلام) :[أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ . . .] ، فيا ايها الانسان لو تفكرت ببديع صنعه لما كفرت واغتررت ، ولكن القلوب عليلة والابصار دخيلة .

لذا اول نعمة هي نعمة الوجود كما قال تعالى : (**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**) [الإنسان :1] ، وكان هنا بمعنى التحقيق وليس الاستفهام اي عدم الوجود له في يوم من الايام .

حيث لم تكن شيء فوجدك تعالى من صلب الى صلب خلقك كامل الخلق ، جئت لهذه الدنيا والان تتنعم بفضل الله تعالى وبخيره ، حتى كفلك ام حانية ، حملتك(**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**

وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)[لقمان : 14] ، تراعيك وتداريك ، ووفر لك ابا شفيقا يدعوا لك بأن تبقى سالما ، ووفر لك عباد طيبين كلا بما تحتاجه .

لذلك اول النعم تخطر بالبال هي نعمة الخلق من اللا شيء ، فهذه النعمة يجب ان تكون بارزة في حياته حتى يستذكرها ويشكرها ، حيث فتح للإنسان بهذه النعمة الولوج الى دار الخلد ، وإلا لما كانت له بإيجاده فرصة الدخول الى النعيم والجنة .

النعمة الثانية: نعمة الهداية

ان هذه النعمة يترتب عليها اثر النعمة الاولى ، فلا قيمة للنعمة الاولى إذا لم تتوفر هذه النعمة في هذا المخلوق ، فلولاها لما صار الانسان مسلما ، فالإسلام والتوحيد والايمان والولاية انما تأتي من نعمة الهداية . وكتاب الله يتحدث عن صنفين من الناس :

- صنف يعبر عنهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ، كما في قوله : (**هؤلاء الَّذينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُّصيبَةٌ قَالُوا إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ**(156) **أُولئكَ عَلَيْهمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهمْ وَرَحْمَةٌ**

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة :157] ، افاض عليهم تعالى بالوجود والهداية .

– صنف ، كما في بوله تعالى : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً [الفرقان :44] .

فهذا التمييز والتفاضل إنما تحقق وحصل بوجود نعمة الهداية ، قال تعالى :(وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف :43] ،هذه الآية يجب ان تكون دائما امامنا : (قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم ۖ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات :17] ، فهو صاحب الهداية والفضل .

فما حالنا لو كنا احدنا بوذي او وهابي ، هل تفخر بذلك ، لذا كلما رأيت ضالا أعمل عمليا واقتدي به بالعمل بخلاف ما يعمل وكن مهتدي ، موحدا الله على ما انت عليه من نعمة الهداية .

هنا بين الامام نوع خاص من الهداية ألا وهي بقوله : [الْحَمْدُ للهِ الّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِه مَعْرِفَةَ حَمْدِه عَلَى مَا أَبْلاَهُمْ مِنْ مِنَنِه الْمُتَتَابِعَةِ ، وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِه الْمُتَظَاهِرَةِ] ، هنا توجد هدايتين هداية للدين ، وهناك هداية خاصة ان نوفق لحمده على نعمة الهداية ، فعرفنا كيف نحمده . كما يقول الشاعر : الهي لك الحمد على نعم... منها الهداية على الحمد .

ثم قال(عليه السلام) [لَتَصَرّفُوا فِي مِنَنِه فَلَمْ يَحْمَدُوهُ] ، اي ان الله تعالى لو لم يبين لنا أننا يجب علينا ان نحمد ، ولم يبين لنا بما علينا أن نحمده ، وكيف نحمده لتصرفنا بنعمه من غير ان نحمده ، ولم نشكره كما عبر [وَتَوَسّعُوا فِي رِزْقِه فَلَمْ يَشْكُرُوهُ] ، ثم قال(عليه السلام) [وَلَوْ كَانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الاْنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِه : (إِنْ هُمْ إِلا كَالاَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا) ، اي كل إنسان يتصرف بنعم الله تعالى من غير ان يحمد فنكون بذلك ممن خرج عن الحدود الأنسانية الى حد البهيمية .

كما ورد :

منائح الله عندي جاوزت أملي * فلَيسَ يُدركها شُكري ولا عَملي .

لكن أفضلها عندي وأكملها * محبتي لأمير المؤمنين علي**(أعيان الشيعة :ج ٧ ، ص ٣٠٥)

وهذا لسان حال كل إنسان ان يكون مؤمل بالله تعالى بمقدار ما ، والله تعالى يعطيه فوق ما يؤمل ، وهذه اعظم النعم أن الأنسان يكون على الدين القويم والصراط المستقيم .

هنا ما الذي ينبغي للإنسان أن يقوله لرب العالمين في قبالها ، فلو تحدثنا على المستوى الظاهري لو تخيلنا أن الله خلقنا في زمن سيد الشهداء وكنا في جبهة العدو لا الناصرين لسيد الشهداء ، كيف نتصرف؟ وماذا نفعل؟ أم كيف حال الإنسان لو يفكر لو أنه كان من أهل العدو والتفجير والتكفير في هذا الزمان ، فكيف حال الأنسان لو كان ممن خلق وهو يسجد لصنم او يعبد بقرة؟!

اذا النعمة الكبرى هي في قوله :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف :43] ، لذا اهل البيت يوصون بل ويؤكدون على شيعتهم ان يلزموا دعاء الغريق "يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" .

فالنعم إذا لم تشكر ترفع ، الانسان إذا لم يشكر نعمة الهداية ترفع (**فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ**) [الأنعام :125] ، اذ إن امر الهداية بيد الله تعالى (**وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**) ، لذا فالإنسان عليه أن يشعر أنه دائما على خطر ، يدرك هذه النعمة ويشكر الله على ما هداه لتدوم هذه النعمة . وكذلك كانوا يوصون بالالتزام بدعاء العديلة ، الذي نقول فيه" اللهم اني اعوذ بك من العديلة عند الموت" لان الانسان الى اليوم الذي يموت فيه هو في خطر هو إنه سيبقى على طريق الحب أم لا؟

أحيانا يرى الله تعالى عندك عمل سيء به تستحق أن تسلب نور الولاية ، لذلك كونوا على حذر أن يراكم الله تعالى مستخفين في شيء من اوامره ونواهيه فيسلب منكم ما استخففتم به ، أو لا إذا تجاهر الإنسان بذنوب يرتكبها جهرا او علنا أمام الناس في مواسم معينة فيسلب الله تعالى منه نور الإيمان لذا [**دعاء العديلة من الجيد المواظبة عليه والتزام قراءته كما هو مستحب كل يوم اربعاء**] .

فأمير المؤمنين صاحب هذه النهج الذي نحن نتبرك بمواعظه قد ضرب لنا أروع مثل عندما طبر بالسيف ، فلما أحس بحرارة

السيف قال : "فزت ورب الكعبة" الان الان ، مع أنه فائز قبل وفي هذه الدنيا وفي الأخرة ، فبهذه العبارة يتبين إنها لنا ، ايها الانسان عليك ان لا تفرح بالنور حتى ترى روحك قد خرجت ولازلت تحمله .

النعمة الثالثة: النعم الفانية

كالمال ، والعيال ، والعافية ، والوجه الحسن ، وغيرها من النعم . فتعالى يقول لنا : (**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [النحل : 18] ، فهي لا تحصى فضلا عن شكرها ، فلو اخذنا نعمة واحدة ونعمل على تقسيمها الى ثلاث أقسام لنتأمل بها ، حيث نحن في زمن تشعر أن الجميع غير راض عن ربه ، والعجيب ان من لا يرضى عنه أكثر الناس هو الله سبحانه ، كم يغمرنا بكرمه ، برزقه ، كم يشافي ويعافي لكن يبقى غير مرضي عنه .

والغريب أن الله تعالى يمدح ناس رضوا عنه (**رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) [المائدة :119] ، يعني هناك في القبال إناس غير راضين عن الله تعالى ، بل إن القلة هي الراضية!!! تخيلوا لو ان اب يغيب ويتعب لأجل عائلته لكنه متى ما شك أن عائلته غير راضية عنه ، هل يرتاح؟ ام

سيشعر بداخله بشيء مؤسف ، وبالمقابل كم معيب على أسرته أن يقابلوه بهكذا فعل؟

فهذا المثال- مع فارق القياس بلا شك- هو حالنا من رب العالمين ، لذا قلنا نحن واقعا في زمن السخط على الله تعالى ، الغني والفقير هو غير راضي .

فمن لديه شعور عدم الرضا فليذهب الى ثلاث مواضع(قسم الحروق ، السجن المؤبد ، المقبرة) فإنه سيعود بشيء جديد ، وسيعلم كم عظيم النعم التي لديه . فالشاب الساخط فليذهب الى المقبرة ليرى كم من قبور مكتوب عليها اسماء شباب بعمره قد انتهت فرصتهم في هذه الحياة ، وهو لا زال يملكها ، لكنه يضيعها بالسخط هذا .

او فليذهب الى المشفى ليرى ذلك الشاب الذي هو في عمر القوة والتي تكون في ذروتها بينما لا يقوى على القيام بأبسط احتياجاته وتقوم أمه بها له او ذلك الشاب الذي وضع بينه وبين الناس ستار لأنه محترق بل اذهب للمؤبد ترى من حياته انتهت ، واسال كم مرض يوجد في العالم؟ وأنظر كم منها فيك ، وكم منها قد عافاك تعالى منها وشافاك؟ نحن نتكلم عن كم مرض بنا ، ونغفل عن كم مرض قد عافانا منه تعالى؟

فلو التفت لذلك لعلمت قيمة العافية التي عندك ، هذا في عالم المادة ، اما في عالم الارواح أسال كم مرض موجود فيك حتى تعرف أن هذا أخطر ، حتى لا ترضى عن وجود روح عليلة فيك . **في عالم الابدان احصي ما غير موجود ، اما في عالم الارواح فاحصي ما موجود لان في عالم الارواح مرض واحد وجوده قاتل وخطر ، بعكس عالم الأبدان** ، بعدها ستقول الحمد لله من اعماق قلبك .

كما قيل :

لك الحمد إما على نعمة وإما على نقمة تدفع

تشاء فلتفعل ما شئته وتسمع من حيث لا نسمع

(علو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ص٣٠٣)

وهنا لابد ان يعلق في ذهننا امران :

النقطة الاول : مهما شكرنا الله تعالى لن نحقق معنى حقيقة الشكر ، وكلما شكرنا الله تعالى بقينا عاجزين عن شكر الله تعالى . كما جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)

قال : "**فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى : اشكرني حقّ شكري** ، (وهنا الميزة ليست في ان تحدث الله تعالى- هذا إن وفقت للحدث معه- لكن الميزة الحقة ان يحدثك الله تعالى وتسمع حديثه) **فقال : ياربّ ، وكيف أشكرك حقّ شكرك ، وليس من شكر أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به عليّ؟ قال : ياموسى ، الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي**"(أُصول الكافي ، المجلّد الرابع ، صفحة 80 باب الشكر) يعني إنك متى ما ادركت انك عاجز عن شكر ربك فقد شكرته ، ولذلك هناك قاعدة كلامية رائعة تقول[**معرفة العجز شكر ، ومعرفة النقص شكر ، ومعرفة الجهل معرفة**] فهذه كما قلنا تجعل النفس متواضعة .

فعندما نعرف اننا عاجزون عن اداء شكر الله تعالى نكون في الواقع من اهل الشكر له ، وهذا نوع من شكر اهل الخضوع والتواضع امام عطاء الله وجزيل انعمه .

النقطة الثانية : أن الإنسان إذا شكر فهو أنما بتوفيق الله سبحانه . إذ أننا أن وفقنا للشكر فهو توفيق منه ، فكما في إحدى المناجاة الروحانية المليئة بالمعرفة والخضوع والخشوع والتواضع والعرفان والعشق لله هي بمثابة دورة متكاملة لتربية الإنسان في جميع جوانب حياته . وهي مناجاة الشاكرين

لإمامنا زين العابدين نردد(**فَكَيْفَ لي بتَحْصيلِ الشُّكْرِ وَشُكْري ايّاكَ يَفْتَقرُ الى شُكْر ، فَكُلَّما قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ لِذلِكَ اَنْ اَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ** ،) فنحن كل صباح ينعم الله تعالى علينا بنعم الحياة وهذه النعم وحدها تستحق ان نبتدأ يومنا بالحمد كما ورد في ادعية الايام(**لَكَ الْحَمْدُ أَنْ بَعَثْتَني مِنْ مَرْقَدي ، وَلَوْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ سَرْمَداً**) ، وقول الإمام علي (عليه السلام) في إحدى حكمه : «إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر»(نهج البلاغة الكلمات القصار ، رقم 13) فهاتان حقيقتان مهمتان تروضان النفس عندما نشعر بشيء من العجب متى ما قدم الانسان شيء هنا أو هناك ، كما وإن النقطة الاساسية إننا لا نستطيع ان نؤدي حق الشكر لله تعالى .

بماذا نشكر؟

لدينا طريقتان :

الاولى : ان يلهج بلسانه بالحمد والشكر ، اللسان يحمد الله والجوارح تعصي الله هنا المشكلة ، اللسان يقول حمدا لك على نعمة الوجود والإنسان يذم ويقدح ويعاتب بذات السان لا يجتمعان

الثاني : مرتبة الشكر الاكمل هي ان يكون وجودك شاكر لله بأن يكون كما يريد رب الوجود فمن الظلم الكبير ان يخلق الله هذا العبد من العدم ويوجده من الا شيء ثم يرد العبد بهذا الجميل بمبارزة خالقه بالمعاصي والتعدي على حدوده ، هذه حالة مخجلة ، تصورها فقط يوجب الاشمئزاز فكيف بتحققها !!

والغريب ان هذه المرتبة أعلى مرتبة في مجتمعنا وليس ادنى مرتبة ، اللسان تراه يلهج ، لكن الحدود متعدات وقد تم تجاوزها ، فتراه نعمة البصر يتعدى بها على حدود الله ، نعمة اللسان ، القوة ، العقل .

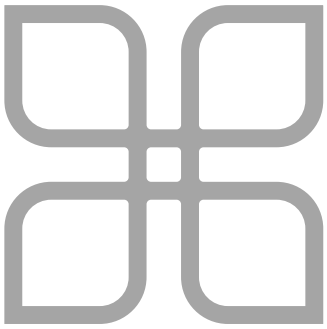

الحكمة [٢٨٧] :[لَوْلَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لاَ يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ]

لماذا نشكر؟

التصور الاول : هو تصور اولي إن الأمام لفت إنتباهنا الى أن الشكر نتيجته الزيادة ، يعني نحن نشكر الله لنزداد ، كما في قوله تعالى : (**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**) [إبراهيم : 7] ، هذه اللام لام التشديد والتأكيد ، اما هذه الزيادة من اي ناحية؟ قالوا علماء الاخلاق هذه الزيادة بلحاظ الشيء المشكور عليه مثلا بعض يشكر على المال ، او على الجاه ، او على العلم فالزيادة تكون بلحاظ ما شكرنا عليه كالعلم او المال او الجاه ، وهذا تصور اولي ، اما التصور الاعم فهو الزيادة في كل شيء يراه الله خير لعبده الشاكر ، مثلا ان فتح

لي باب من المال وقلت الحمد لله بلحاظ الاول ان الله لأجل شكري هذا سيزيدني مالا على مالي ، فهذا بالتصور الاولي .

التصور الثاني : الاعم كما يذكر صاحب جامع السعادات يقول : لا . يزيد بما فيه صالح لذلك العبد الشاكر . فلو ان زيد كثرت أمواله فشكر الله تعالى ولكن الله علم ان هذه الاموال لو زادت ستخرجه عن طور الاعتدال مع الله تعالى ، قد يتكبر او لا يعطي حقوق الله تعالى المالية الموجب عليه ، هنا نحن امام خيار الزيادة وخيار ان يحفظ للعبد دينه ، فلا يزيد له في ماله لكن يزيد ويحفظ له دينه . وهذا يحتاج الى امرين لكي يُذعن العبد لربه :

الاول : يقر بحكمة الله .

الثاني : يقر بملكية الله بما يملك .

فأن سلب من نعم الله تعالى فبحكمته ، وإن منع عنه شيء بسلطنته وقدرته وحكمته . ولذلك لا يمكن أن نتصور أن الزيادة دائما تكون بنفس اللحاظ ، فأحيانا زيادة ما نشكر عليه من نعم يسبب نقصان في الدين ، وهذا تصور دقيق نحتاج ان نتأمل فيه .

التصور الثالث : ان شكر العبد ربه يزيده الله تعالى من كل شيء ، فإن شكر على المال يزيده في ماله وفي دينه ، كلما زاد المال زاد تواضعا وخضوعا ، حيث هنا زيادة من الناحية المادية والروحية .

التصور الرابع : وهو تصور ارقى أن نشكر الله تعالى وليست الغاية هي طلب الزيادة ، فهذا شكر التجار ، شكر الذين يتاجرون مع الله تعالى ، أن الله تعالى يستحق ان نشكره سواء وعدنا بالزيادة ام لا ، هو مجرد أنه خالقنا وقد تفضل علينا وجعلنا من عباده هذا يوجب ان نشكره على هذه النعمة .

الامير(عليه السلام) في مناجاة الصديقين(العرفانية) يقول : **(الـهي كَفى بي عزّاً اَنْ اَكُونَ لَكَ عَبْداً ، وَكَفى بي فَخْراً اَنْ تَكُونَ لي رَبّاً ، اَنْتَ كَما اُحِبُّ فَاجْعَلْني كَما تُحِبُّ)**

وفي هذا تنبيه لنا يقول فيه : ايها العبد بمجرد أن تلتفت ان الله تعالى ربك هذه نعمة تستحق الشكر وبمجرد أن تلتفت أنك عبد هذه نعمة يجب أن تشكرها سواء كنت غني أم فقير عالم ام لا ، صحيح أم سقيم ، معسور ام ميسور الحال . في كل الاحوال يجب ان تشكر الله ، ومن قال أن الشكر مرتبط بالغنى ، ففقير الدنيا الذي يكون غني بالأخرة هذا يشكر الله تعالى اكثر ، ام فقير الاخرة غني الدنيا؟ فلو ان شخص له بيت

ايجار وهو من أفضل البيوت هل هو أكثر سعادة أم شخص لديه بيت ملك لكنه متواضع فلا يأتي احد يطالبه بالخروج منه او دفع الايجار ، من الاسعد؟ من الاكثر ارتياحا؟ قطعا صاحب الملك .

كذلك من ضمن الاخرة وإن كان فقير الحال في الدنيا من المفترض ان يكون أسعد وأكثر شكرا لله تعالى ، ولذلك هذا سبب اخر يفرض على الجميع أن يشكروا الله .

ففي هذه الحكمة المحفز اخر وهو ليست الزيادة او الاستحقاق ، فقط لو قال اشكروني نشكر ، لأننا لا نتعامل مع الكريم بالبخل ، لان أكثر ما يستحقره الكريم هو البخل ، فكونوا كرماء مع الكريم ، وكونوا من أهل الشكر مع الشكور ، لذا فالإنسان عليه ان يقرر أن يشكر الله تعالى لأنه أهل للشكر لا طلبا للزيادة .

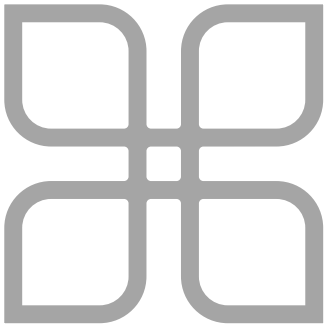

الحكمة [٤٣٢] [مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ ،]

بما نشكر الله تعالى؟

كما بينا في احدى خطب الامير(عليه السلام) انه ذكر ان لله عباد اختصهم بنعمه لينفقوها على العباد ، فإن فعلوا وبذلوها لأهلها قرت بأيديهم ، وإن لم يفعلوا حولها لغيرهم ، وهذا هو الشكر العملي لا الشكر الجوانحي القلبي او اللساني فقط ، فالشكر العملي هو أن يشكر الانسان بعمل طاعوي اي يستخدم النعمة في مضان طاعة الله تعالى .

القرآن الكريم يتحدث عن آل داوود (اعملوا آل داود شكرا) أي اجعلوا عملكم شكر ، واجعلوا شكركم عمل ، هذه الاعمال التي تعملونها من طاعة وتقوى وعبادة وتقرب اجعلوها تجلي وتجسيد للشكر ولا تنتظروا في قبالها شيء ، واجعلوا

شكركم على انعم الله تعالى هو عمل وليس شكر قولي لذلك القرآن الكريم يمتدح نبي الله ابراهيم (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(120)شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) [النحل :121] ، حيث ان اول صفة اطلقها تعالى على نبي الله ابراهيم بعد تعريفه على أنه امة وقانتا هو انه كان شاكر لأنعم الله سبحانه .

لذلك في القرآن قال تعالى **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) [سبأ : 13] لعل المراد هنا لا الشكر اللساني بل الشكر العملي لان اغلب الناس تشكر باللسان ، ولكن هذا ليس المطلوب بالكلية من قبل الله تعالى ، بل الشكر الحقيقي هو المطلوب الذي قال تعالى :(**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**) [سبأ : 13] ، لذا الامير(عليه السلام) يفتح لنا باب يفرق فيه بين صنفين يقول الإمام علي (عليه السلام) : "شكر المؤمن يظهر في عمله ، وشكر المنافق لا يتجاوز لسانه" (ميزان الحكمة : ج ٢ – ص ١٤٨٨)

اذن لا تفرح اذا كنت فقط ممن يردد بلسانه الشكر ، فهذا باب ومن وراء الباب فناء كبير! والانسان لا يقصد الباب بل يريد ما ورائه ، لذلك في اية اخرى من آيات الله الكبرى (**إِنَّا**

هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[الإنسان : 3] السؤال هنا لمَ قالت (شاكرا) من دون صيغة مبالغة ، بينما (كفورا) اتت بصيغة مبالغة؟

الجواب : في قوله تعالى (**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) [سبأ : 13] ، هنا اشارة الى ان الانسان مهما شكر لن يبلغ الشكر الحقيقي ولن يتحقق فيه صيغة المبالغة ، لذا لم ترد صيغة المبالغة بسراء او ضراء باي حال من الاحوال ، لكن بمجرد حصول كفر بالله ولو لمرة واحدة فقد تجاوزت بذلك الحد وبالغت بالكفر .

وبتعبير اخر في عالم السلب والادبار القليل كثير ، وفي عالم الايجاب والاقبال الكثير قليل حتى لا يعيش الانسان حالة العجب ، حتى لا يعجب الفرد بطاعاته ، فحضور قوله تعالى(انا لله وانا اليه راجعون) امر مطلوب لان فيها تجلي لحالة الخضوع والافتقار .

وقد ورد إنه قال داود عليه السلام : "**يا رب فأرني أخفى نعمك عليَّ قال : يا داود تنفس فتنفس داود فقال الله تعالى من يحصي هذه النعمة الليل والنهار وقال موسى عليه السلام : كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها بيدي من**

نعمك لا يجازى بها عملي كله فأوحى الله إليه يا موسى الآن شكرتني" .

علماء الطب الذي يحللون فسيولوجية الجسم يقولون كل نَفَس يُعطي عمر جديد يحيّ الانسان ، يعني هو يستحق الشكر فهذه الحقيقة تجعل الانسان واقف امام عطايا الله ونعمه مطأطأ الرأس مرددا (وشكري اليك يفتقر الى شكر)

وهنا توجد ثلاث امور علينا ان نتصورها :

اولا : شكر الله يجعلك تنتقل من شاكر الى مشكور

ربنا قال : (لان شكرتم لأزيدنكم) ، هنا مفردتين (شكرتم=أزيدنكم) لأنكم متى ما شكرتم سأشكركم بزيادتكم . احد المفسرون يذكر هذه الالتفاتة يقول فيها : "اي انه انتقل من عالم وضعه انه شاكر الى عالم انه مشكور ، يعني رب العالمين لما يريد ان يشكرك على شكرك يزيدك ، فما اعظم ربنا" . فالحقيقة ان التأمل في هذه العبائر توجد وتنمي فينا صفة الحياء من الله تعالى .

الاولياء والصالحين لا يطلبون من الله تعالى العطاء بعد ان ادبروا بل يستحقون ان يطلبوا الجزاء وهم مقبلون عليه ، لان هو بالأصل الاقبال من العبد الى الرب فرع الاقبال من الرب الى العبد ، التفت اليك فلفتك اليه .

ثانيا : علينا ان لا نعيش حالة الكند(**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**) [العاديات : 6] ، كنود هو ذلك الشخص الذي يحصى بلاء الله وينسى نعمه لذا على الانسان ان يحصي ما لديه من نعم وليقيسها بما لا لم تصبه من بلاء ونِقم ليرى كرم الله تعالى وفضله عليه هنا ليحصل الشكر عن معرفة .

ثالثا : كل يوم لما تستيقظ اكتب النعم التي عليك وانظر إليها وقارن بينك وبين الاخرين ، نعمة نلفت انتباهك اليها وهي نعمة الستر ، من منا لا يذنب الا من رحم ربي لكن مع كل ذنب هناك ستر ، وهذه من اعظم النعم ، كيف الحال لو أن الله تعالى رفع هذا الستر . امامنا الكاظم عليه السلام) يقول "اللهم عصيتك فسترتني ، فلا تفضحني امام الاشهاد إذ بعثتني" ، مشكلة الانسان أنه يتعامل مع رب العالمين بإزدواجية ، يريد نقدا ويعطي اجلاً!!

لذا فالإنسان جميل ان يلتزم بسجدة شكر الواردة عن الامام الصادق (عليه السلام) وهي التي يقول فيها الحمد لله ثلاث والشكر لله ثلاثا ، فالثلاثة الاولى بها الخضوع والتوحيد وبها اقرار بان النعم من الله تعالى .

◇ 》 الفصل الثالث: مواعظ عن الخوف والرجاء

مقدمة

ليصل الانسان الى درجة من المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، لا بد ان يرتكز في عقله وقلبه مجموعة من المعارف ، فعلى سبيل الفرض عندما تريد أن تعرف الله تعالى لا تنظر الى شيء مادي لتعرفه من خلاله ، او من خلال التعامل مع شخص ما او القراءة عنه في التاريخ كما نقرا عن النبي واله ، إذ إننا نتعامل مع مجموعة من الصفات التي ينبغي أن تكون متقابلة بين الرب وبين العبد . فعندما يريد الانسان ان تكتمل معرفته بالله(وهنا القصد بالكمال هو الكمال بلحاظ الانسان ، بلحاظ العارف لا المعروف) .

وهنا يحتاج الى التجرد عن الكثير من الاشياء وعن كل موصوف حتى لا يتوهمه ، ويتدرج حتى لا يستعجلن المعرفة ويقع في الخطأ . مثلا نريد اليوم أن نعرف مفهوم الرجاء ، فرجاءنا بالله تعالى هذه معرفة جزئية -إن جاز التعبير- تعطينا قربا من الرب من الناحية المعرفية .

ولذلك الطريقة التي نتعامل بها مع رب العالمين تنعكس من خلال مجموعة هذه المعارف ، ولذلك سيتبين لدينا أن هذه المعارف لها تأثير كبير على سلوك الانسان نفسه ، حيث هناك فرق بين إنسان يؤمن برجاء الله تعالى وإنسان لا يؤمن بذلك ، أنسان يتحكم به الخوف وآخر لا يتحكم به . لذا هنا تكمن الصعوبة اي إننا لا نتعامل مع شيء محسوس أمام أعيننا إن رأيناه خفنا وآن لم نره لم نخف منه! لا إنما نحن نتعامل مع رب معنا في كل شيء .

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : جاء حبر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال : فقال : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره ، قال : وكيف رأيته؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان . (الكافي 1 : 98) .

هنا السؤال لم يأتي من فراغ ، الأنسان الذي يعيش مع امير المؤمنين (عليه السلام) ويرى اتزانه وإتقانه ومراقبته وخشيته وخوفه ورجائه من الله تعالى يسال هذا السؤال ، فهو إما سؤال استفهامي او استفزازاي! فهذا الرجل -كما يبدوا- لم يسأل

هذا السؤال ليثير شبهة بل من اجل أن يعطيه الامام من معارفه وعلومه ، فقول الامير (ويلك) هو ليس للتوبيخ بل للترقي ؛

فالرؤية القلبية التي بَينها الامير(عليه السلام) في العلاقة الثنائية بين العبد وربه ، من مصاديق هذه العلاقة هي ضبط الرجاء والخوف ، ضبط خيط الامل وخيط الوجل ، ضبط القرب منه والانس به ، ضبط الابتعاد عنه والرهبة منه .

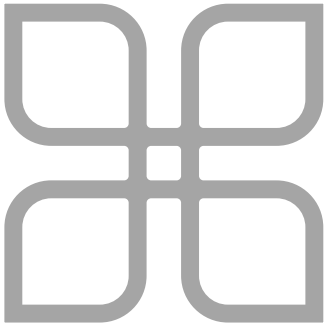

خطبة [160] [كَذَبَ وَالْعَظِيمِ مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَينٌ رَجَاؤُهُ فِي عَمَله فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَله وَكُلُّ رَجَاء إلاَّ رَجَاءَ اللّٰهَ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ وَكُلُّ خَوْف مُحَقَّقٌ إلاَّ خَوْفَ اللّٰهَ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللّٰهَ فِي الْكَبِيرِ وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي الرَّبَّ فَمَا بَالُ اللّٰهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِه عَمَّا يُصْنَعُ به لعبَاده أَ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاء مَوْضِعاً وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيده أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفه مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَاد نَقْداً وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقه ضِمَاراً وَوَعْداً وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِه وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِه آثَرَهَا عَلَى اللّٰهَ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا]

ما هو الرجاء؟

وكيف نحققه في علاقتنا مع رب العالمين؟

الامير(عليه السلام) يجيبنا في الخطبة [160] إذ يتحدث عن شخص معين ومصداق يدعي بزعمه أنه يرجو الله تعالى فيقول : [كَذَبَ وَالْعَظِيمِ مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَينُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِه] فهذه إذا علامة الرجاء ومرآة الدلائل التي يقسم بها الامير(عليه السلام) إشارة لوجود مسألة مهمة ترتبط بالجانب العقائدي والسلوكي ليس لفرد ما بل للمجتمع الانساني الذي يتوجب عليه ان لا يغفل عنه ولذلك الامير(عليه السلام) يتوقف ويُقسم ، فهذا سؤال استنكاري من الامير(عليه السلام) لمن يرجوا الله تعالى بلسانه وليس بعمله الخارجي ؛ لذا فمن اراد أن يعرف أن رجائه صادق فعليه أن يرى كم قد ترجم من رجائه على عمله .

اما كيف يتبين الرجاء في اعمالنا؟

فنقول : أن الرجاء ليس هو الاطمئنان النفسي فقط بل لا بد أن يتبين الرجاء في العمل ، إذ هو اعتقاد بالباطن وتجسيد في الخارج وهو ما يسمى في علم العقائد (دفع دخل مقدر) كما قال[فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ] .

فالرجاء اعتقاد باطني معرفي ، لكن إذ اردنا أن نعرف هل هذا شخص راجي وذي اعتقاد صحيح وحقيقي فالمقياس السلوك والعمل ، فالسلوك هو ضابطة الرجاء ، كما أن الايمان هو اقرار بالسان وعمل بالأركان .

ثم قال(عليه السلام) [وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلاَّ رَجَاءَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ] ، مدخول هنا يعني مغشوش اي فيه شائبة ، هنا بدأ الامام يدخل في الباطن يعني كل رجاء لأهل السلطة والمال او اهل الوجاهة إنما هو مغشوش ليس رجاء حقيقي ، إنما الرجاء الحقيقي والخالص هو كما ورد عن امامنا زين العابدين(عليه السلام) : "**يا خير من رجاه راج**" ، فإن أردنا أن نرجو أحد ونجعله محل رجاء فانت يارب خير رجاء ، وكما في فقرة اخرى "**يا من لا يخيب رجائي ولا يقطع دعائي**" .

إذ الاميرعليه السلام) يقول إن الرجاء الحقيقي هو رجاء الانسان لربه فقط وفقط ، أي إن أردنا أن يكون الرجاء منتج ومثمر يجب أن تحققه ليس على المستوى الباطني ، بل بالسلوك الخارجي .

ثم قال(عليه السلام) :[وَكُلُّ خَوْف مُحَقَّقٌ إلاَّ خَوْفَ اللهَّ فَإنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللهَّ فِي الْكَبِيرِ وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي الرَّبَّ]هنا نحتاج ان نتأمل به .

أن ترجو الله تعالى في الكبيرة وفي الصغيرة ، فنحن لو كان لنا رجاء في شخص نرى فيه المرتجى والخير ، ماذا نفعل؟ ألا نتودد له ، ونقدم له مقدمات كثيرة ، وبالمقابل مع أن المرتجى الحقيقي هو تعالى عز وجل إلا إننا كثيرا ما لا نقدم هكذا مقدمات مع الباري عز وجل . فإن أي انسان عندما يريد أن يطلب من شخص ما شيء –بالوجدان– تقوم بعملين احدهما (وجودي) ، والاخر (عدمي) .

فإما العمل الوجودي هو أن تتودد له وتمدحه امام عينه او امام الناس ، تريه لين الجانب والعريكة ، تسلم عليه بإحترام اكثر حتى يلين جانبه اليك . اما العمل العدمي هو أن تسعى وتحرص أن لا يسمع منك مذمة لأحد ، ولا يرى منك شيء

سيء مع غيره ، حتى تبقى قيمتك محفوظة ولا ينكسر وجودك عنده ، فيعطيك . وهذان الامران مع شديد الاسف نحن لا نحققهما في التعامل مع رب العالمين ، وقليل من الناس من يعملهما ويطبقهما .

لذا الامير(عليه السلام) قال :[فَمَا بَالُ اللهِّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ] ، هنا يتساءل الامام بتعجب عن حال الانسان إذ أنه لا يفعل مع ربه ما يفعله مع خلقه ممن يرجوهم؟ فعندما تأتي الى الاعمال التي لله تبخس الله تعالى حقه عليك ، وعندما تأتي للعطاء تطلب من الله تعالى بلا خجل!! كما يقول احد الحكماء : "نعطي الناس ما لا نعطيه لله تعالى ، ونريد من الله تعالى أكثر مما نريده من الناس" .

مفهوم الرجاء الحقيقي والموهوم

إن الأنسان المتدين- نقصد بالإنسان المتدين الاعم من الانسان الملتزم- الذي يؤمن بالله تعالى ويؤمن بأنه موجود إذ إنك لن تجد يهودي ولا مسيحي لا يرجو الله تعالى ممن لديهم امل بالله تعالى ، فالمشكلة ليس في وجود عموم الرجاء وإنما في حقيقة تجليه ووجوده ، المشكلة في هل رجائنا حقيقي أم كاذب؟

حقيقي أم موهوم؟ هل هو رجاء يقينا ام يوقعنا بالذنوب بالإعتماد على مفهوم الرجاء .

وهنا ننقل رواية إذ جاء مجموعة من الرجال الى الإمام فسألوه عن – وهذه ميزة الامام المعصوم إنه موجود بين الناس وإنه دائما موجود ، متى ما أحتاجه الناس وجدوه فيستفتونه ويفتيهم فيرتاحون ، ومن فضل الله علينا أن خلف لنا الائمة من ورائهم من العلماء والفقهاء العاملون فهم هكذا ، فعندما تصبك مصيبة او مشكلة علمية فكرية تهرع إليهم وتسالهم وتستفتيهم وهذه من نعم الله التي علينا ان نشكره عليها– عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَمَّنْ ذَكَرَه عَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَالَ : "قُلْتُ لَه (عليه السلام) : **قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَقُولُونَ نَرْجُو فَلاَ يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ؟ فَقَالَ عليه السلام هَؤُلاَءِ قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ فِي الأَمَانِيِّ كَذَبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ إِنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَه وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْه**" .(الكافي ج 2 ، ص 68) .يظهر هناك فرق بين الاماني والرجاء ، وقول الامام (يتأرجحون) اي جعلوا الاماني ارجوحة يتأرجحون بها بين أهوائهم وذنوبهم .

ثم قال الامام(عليه السلام) (من احب شيء قصده ، ومن خاف من شيء هابه) ، فهذه علامة جديدة يعطينا اياها امامنا الصادق (عليه السلام) لمعرفة حقيقة رجائنا . فالإنسان لا يكتفي بفعل الخطأ بل ويبرر لنفسه إذا اخطأ!! وهذه مشكلة ابليس ، أحيانا الانسان يخطأ لكنه لا يبرر ويعترف بمشكلته وهذا في الواقع نصف حل المشكلة .

ثم يقول الامير(عليه السلام) :[أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً] اي من الممكن أن يكون رجاءك فخ نصبه اليك الشيطان ، لعله بئر من بئار النفس الامارة بالسوء ، فهذا ممكن وارد ، لذا على الأنسان أن يكون دقيق ، والامام اعطانا الميزان وهو بيان الرجاء بالعمل .

ثم قال(عليه السلام) [أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً] فالله تعالى هو موضع الرجاء المطلق ، كما في المناجاة نقرأ : " **لا يخلف رجائي**" .

ثم قال(عليه السلام) [وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً] ولكن مع رب العالمين[وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً] الضمار يعني غير ظاهر مضمور .

ثم قال(عليه السلام) [وَوَعْداً] اي اجلاً وليس نقداً ، فالأمير(عليه السلام) لم يبالغ في وصفه بل هو متحقق فينا .

ثم قال(عليه السلام) :[وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى] فهناك من يؤثر الدنيا على الاخرة ، وهناك من يؤثرها على ربه!! فكانت النتيجة هي قوله[فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا] وليس عبد لمولاه .

لذا تبين أن الرجاء لابد أن يكون مقرون بالعمل ، وهذا الفهم له أصل قرآني قطعا ، فكتاب الله يأمر الناس أن تقتدي بالنبي الخاتم (وهذا امر وجودي) ، قال تعالى :(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**)[الأحزاب : 21] هل هي اسوة حسنة للجميع؟ نعم من الناحية انطباقه على الجميع فهي منطبقة -كما يطلق عليها- بوجوب فاعلية الفاعل ، لكن من ناحية فاعلية القابل تطبيق الانسان واقتدائه شرط لتحقق التاسي ، وهذا يحتاج الى شرط ، اما ما هو؟ ففي قوله تعالى(**لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**) فلمن يريد أن يقتدي بهذا العنوان العظيم عليه أن يوجد الرجاء فيه لله تبارك وتعالى .

في اية اخرى يثبت بشكل اوضح كما في سورة فاطر (إِنَّ **الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**)[فاطر : 29] ، السؤال هنا ما هو الدافع الذي يجعلهم مطمئنون ؟ والجواب : انه رجائهم كما في قوله(**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**) ، فهؤلاء مطمئنون أن هناك جزاء بعد كل عمل ، وعطاء بعد كل بذل لذلك يخفف عليهم التعب .

امير المؤمنين عطف على قول الله تعالى في **خطبة** [134] [مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ] ، فإن من يرجوا الله تعالى بانه سيخلف عليه لن تشح نفسه بالعطاء ، والذي يرجوا أن هناك نماء في العالم الاخر هذا الانسان سينفق ويقدم ، كما قال تعالى :(**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا . . .**)[المزمل : 20] ، كل هذه العبائر التي توجد الرجاء داخل فيها .

وفي قوله :(**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**)[الكهف : 110] ، فالذي يرجوا ان هناك لقاء وجزاء وحساب فإنه لا يتوانا بالعمل ، وكل هذا

الكلام يتدرج ضمن هذه المجموعة التي وضعها الأمير(عليه السلام) (يتبين رجاءه بعمله) .

علامات أخرى للرجاء الحقيقي

مفردة اخرى التي يبين بها قيمة الرجاء في حياة الانسان في الخطبة الغراء في تبيان اهوال يوم القيامة حيث يتحدث الامير(عليه السلام)عن كثير من المفردات التي يعيش بها الانسان في الدنيا ثم يضرب وصف مجموعة :

[وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ] ، غرار النوم اي النوم الهانئ .

[وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ] فهو على اثر رجائه اظمئ نفسه في يومه ، وهذا التعبير من المفترض أن ينطبق على الخوف لا الرجاء لكن الامير(عليه السلام) يفتح لنا باب جديد هو أن الانسان الذي يرجو الله تعالى يقدم . ولذلك القران الكريم يعطينا مفردة رائعة وهي مفردة "المثقال الذرة" ، القرآن الكريم يقول يا ايها الناس حسابكم في الاخرة سيكون أدق على المستوى الايجابي ، قال تعالى :(**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**)[الزلزلة :7]

هنا القران الكريم يبين لنا حقيقة الرجاء التي تصل بالحد الادنى لمثقال الذرة ، فعلى الانسان أن لا يستخف بالعمل ولو كان بمثقال ذرة ولا يستصغر عمل ولو كان دقيقا فكل عمل بينك وبين ربك ممكن أن ينفعك في يوم الغد (صدقة صغيرة ، ابتسامة بوجه إنسان مكسور) احيانا ننظر الى الاشياء الكبيرة إلا ان الله يضرب لنا بمثال بغاية الدقة .

ولذلك الانسان المؤمن ليس لديه تكاسل في الطاعات لأنه يرى أن هناك فرصة للتكامل والطاعة بأي شيء(بقراءة آية ، بمناجاة ، بدعاء ، بركعتين ، بتفريج هم عن بعض الناس) ، وغيرها من الاعمال القربوية التي يعيشها الناس . وكذلك السلبي ، قال تعالى :(**وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**)[الزلزلة : 8] .

بعض العلماء يقولون : أذا قرأناها(يرى)بالألف لا يصبح هناك نسبة بين مثقال ذرة واخرى ، تصبح الرؤية ما لا اذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ، ومرة تقرا (يره) بالهاء المقصورة اي (يره) اي يرى الذرة التي عملها لذا كل لحظة هناك فرصة للتزود .

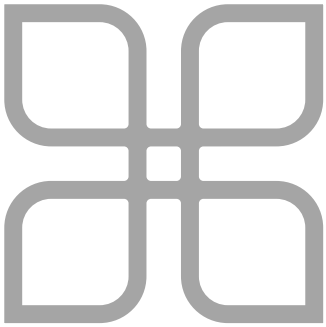

خطبة[١٤٧] وقال عليه السلام لرجلٍ سأَله أَن يعظه :[لاَ تَكُنْ مِّمَّنْ يَرْجُو الأْخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ] ، فإن الاخرة قيمتها وقيمتك فيها تعتمد لا على الرجاء فقط بل لابد أن تقدم ضمان وهو العمل .

ثم قال(عليه السلام) : [وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأْمَلِ] عبر في التوبة (**يرجي**) أي يؤجل هنا رجاء مذموم ، بينما المطلوب هو(**يرجو**) الاخرة بالعمل فهذا هو الرجاء الممدوح .

فالرجاء الكاذب هو الذي يكون -كما يعبرون- شماعة يعلق عليها الانسان كسله وتهاونه . اما الرجاء الحقيقي فهو أن تعمل وتكون راجيا أن يقبل الله تعالى عملك وتكون من ضمن المقبولين .

الرجاء والخوف كيف يكون محفزا ومحركا للإنسان؟

إن الناس ينقسمون الى ثلاث :

- المعاند الذي يذنب ويبرر لذنوبه ، اي يدافع عما يرتكبه ويراه صحيحا .

- المستقيم هو الذي عكف على الطاعات .

- المترنح هو متذبذب(المذبذب المعترف) لا الى هنا ولا الى هناك لكن لا يزال على الجادة ، هو العاصي الذي لا يستقيم .

فنحن عندما نرجع للقران الكريم نجد كثيرا من الاحيان تتردد عبارة الخوف والحزن مع بعضهما يأتيان متلازمتان ، كما في قوله(**وَمَا نُرْسِلُ (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** [الأنعام : 48] ، فالخوف هو ذلك الشعور الذي يدخل للإنسان من شيء مستقبلي ، اما الحزن هو ذلك الشعور الذي يدخل للإنسان من شيء ماضوي لذا هناك خوف على ما يأتي وحزن على ما فات .

فالإنسان المؤمن عادة يعيش بين الشعورين ، كما ورد - عنه (صلى الله عليه وآله) : "**إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه ، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه**" . (أمالي الطوسي : ٥٢٧ / ١١٦٢) .

وعَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام ، قَالَ :"**الْمُؤْمنُ بَينْ مَخَافَتَينْ ذَنْب قَدْ مَضَى لاَ يَدْري مَا صَنَعَ الله فيه وعُمُر قَدْ بَقيَ لاَ يَدْري مَا يَكْتَسبُ فيه منَ الْمُهَالك فَهُوَ لاَ يُصْبحُ إلاَّ خَائفاً ولاَ يُصْلحُه إلاَّ الْخَوْفُ**" .(الكافي ، ج 2 ، ص 71) .

يحزن على ذنب قد مضى ويتألم عليه ، هو يخاف من المستقبل بان لا يختم له بالخاتمة الحسنة ، وبالمقابل المؤمن يرجوا من الله تعالى ان يغفر له ذنوبه ، يرجوا من الله ان يكون مقبولا في استقامته ، أي الأمرين في كلا القسمين عند اهل الذنوب والاستقامة ، ولذلك الشاعر يقول :

وقد مددتُ يدي بالذّلِّ مبتهلاً

إليكَ يا خيرَ من مُدّتْ إليه يدُ

فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائبةً!

فبحرُ جودِكِ يروي كلَّ من يَرِدُ

فباب الرجاء يقول لك : كلما رأيت اعمال غير لطيفة وغير صحيحة لا تيأس واطرق باب الرجاء ، ارجوا الله تعالى أن يقبلك بشرط أن تتقدم الى الله تعالى وتنتهي عما لا يرضى . فهذا الانسان نرجو أن يقبل تعالى توبته ، كما نقرأ في مناجاة الراجين : "**الهي وخيط رجائي منك لا ينقطع** "

الشيطان اول خطواته في تضليل الانسان هو التبرير واسلوب من اساليبه وهو اسلوب قطع الرجاء الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالوعد بالفقر (**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**) [البقرة : 268] ، كما تفسر هذه الآية اي يجعل الانسان يعيش حالة فقر الرجاء ، فيصبح بحالة اضطراب ويأس وقنوط ، وبالمقابل تعالى يبين لنا حقيقة تلك الوعود بقوله تعالى : (**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**)[النساء : 120]

فهذه نقطة مهمة على الانسان أن يلتفت إليها ويعيها فلا يقطع رجاءه من ربه بأي حال من الاحوال ، إن كان من اهل الطاعة او من اهل العصيان ، بحالة اقبال او ادبار هو لا يقطع رجاءه بسيده ومولاه . فعند الاقبال لابد أن يكون الانسان بحالة رجاء لقبول الاعمال ، وعند الادبار لابد أن يكون الانسان بحالة رجاء بأن يتوب عليه الله تعالى ويسامحه ويغفر له لكن بشرطها وشروطها وهو أن لا يعود الى ما سلف .

الخوف من الله تعالى

هنا سنجيب عن ثلاث اسالة مهمة وهي : ما هو الخوف من الله تعالى ؟ لم الخوف من الله تعالى ؟ ما هي اثار الخوف من الله تعالى؟

السؤال الاول: ما هو الخوف من الله تعالى؟

الخائف هو الذي يخاف من أخذ الله ومن أن تقع عليه مصيبة ، وهذا ما قد يعيشه الكثير من الشباب فهم لا يأخذون قرار التوبة بجدية لانهم احبطوا واصابتهم حالة من اليأس ، فالحزن شيء واليأس شيء اخر .

نعم عليك أن تحاسب نفسك وتراقبها وتعاقبها في بعض الموارد ، لكن المحرم عليك هو أن تيأس من صلاحها ، فالحزن من الذنوب شيء ، والقنوط من الذنوب شيء آخر ، وكما ورد : (**يامن عدا ثم اعتدى ثمّ اقترف** (فالاقتراف هو ارتكاب الذنوب الكبيرة) ، **ثم استحى ثم انتهى ثم اعترف ! أبشر بقول الله في آياته :(إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)) .**

وكما في قوله تعالى : (**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**)[النساء : 120] فالمطلوب أن لا نتعامل مع الغفران على إنه صك أمان وغفران ، وإنما المطلوب أن نتعامل معه على إنه صك دخول الى حرم الله تعالى ، وبدخولك ممكن أن تبقى وممكن أن تخرج ، لذا فيا ايها الانسان أنت بالرجاء تبتعد عن الاغترار برحمة الله ولطفه وعطفه وعن الياس فتعيش حالة الامل .

لذا يقول قال أبو عبد الله(عليه السلام) : كان أبي يقول : " **إنه ليس من عبد مؤمن إلا [و] في قلبه نوران : نور خيفة ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا**" (الكافي :ج ٢ ، ص ٦٧) لانهما يدللان على الله تعالى ، لكن بشرط أن لا يطغو احدهما على الاخر ، لا يطغوا الرجاء فتكسل وتفتر ، ولا يطغوا الخوف فتكفر بل لابد من وجود موازنة في وجودهما في نفس المؤمن ، وكما في الدعاء : " **اذا رَاَيْتُ مَوْلايَ ذُنُوبي فَزِعْتُ ، وَ اذا رَاَيْتُ كَرَمَكَ طَمِعْتُ**" ، اي تساوي بين النظرة الى الرب وبين النظرة الى الطاعة او الذنب .

كما وقد روي " **أن آخر عبد يؤمر به إلى النار ، يلتفت فيقول : يا رب لم يكن هذا ظني بك ، فيقول ، ما كان ظنك بي؟ قال : كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي ، وتسكنني جنتك . فيقول الله عز وجل : يا ملائكتي ، وعزتي وجلالي ، وجودي وكرمي ، وارتفاعي في علوي ، ما ظن بي عبدي خيرا ساعة قط ، ولو ظن بي ساعة خيرا ما روعته بالنار ، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنة**" (تفسير القمي ٢ : ٢٦٤ باختلاف يسير) .(جامع السعادات) .

وهنا لنعرف ما هو الخوف بشكل ادق لابد لنا أن نميز بين (الخوف) و(الخشية) حيث إن هاتين المفردتين موجودتين في القران الكريم إذ إن الفرق بينهما هو أن هاتين الكلمتين" إن انظمتا افترقتا ، وإن افترقتا انظمتا" اما ما معنى هذا الكلام فهو : اذا جاءت مفردة الخوف والخشية في نفس السياق اي بنفس الموضع فهذا يعني أن المقصود من كل منهما مختلف عن الاخر ، اما اذا اتت مفردة الخوف مثلا في سطر من الكلام ، والخشية في سطر اخر فهذا يعني انهما يعطيان ذات المعنى .

فالخشية هي الخوف المنبعث عن معرفة ، اما الخوف فهو ليس بالضروري يكون منبعث عن معرفة ، والقران الكريم لما اطلق مفردة الخشية اطلقها على العلماء ، ولم يطلقها على عموم الناس ، قال تعالى :(**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**) [فاطر : 28] ، وهذه نقطة مهمة تنفعنا في معرفة الجواب عن السؤال الاول الذي كان ما هو الخوف .

السؤال الثاني: لمَ الخوف(التخويف) من الله تعالى؟

هناك تساؤل مهم يساله البعض وهو : لم تخوفون الناس من الله تعالى؟ ولم تجعلون الناس تخاف من الله ، وهذا تساؤل ظاهره برئ وباطنه خبيث؟

لذا سنجيب ولكن بشكل مختصر جدا بجوابين :

الجواب الاول : في الفطرة وجدنا إن الدافع والمحرك للناس إن كان مصدره التخويف من الشيء اكثر تأثيرا من دافع الحب والترغيب . ودافع الخوف يكون بحالتين (الخوف من حالة الاخذ وحالة الترك) ، ولذلك القرآن الكريم يقول : (**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء . . .**)[البينة : 5] ، العبارة في هذه الآية مرة تأتي عن حب ومرة عن خوف ، وبتأمل بسيط وتفحص قليل لأبناء المجتمع تجد أن الذي يعبد الله تعالى خوفا منه هم الاغلب والاكثر .

الجواب الثاني : هو ان الله تعالى هو نفسه يحذر الانسان ويخوفهم وهذا ما نسميه بالتفضل كما في قوله تعالى : (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**)[آل عمران :30] . ، هنا تعالى الكبير المتعال اللطيف يخوف الناس من نفسه ، يبقى شيء واحد وهو : هل نحن نخاف الله تعالى ام أننا نخاف من عقاب الله؟ بالنتيجة فإن هذا ليس سؤال بريء وليس صحيح ، لأننا نعتقد أن الافراط والتفريط مضيعة للإنسان ولا ينبغي له أن يميل ذات الشمال ويتجلبب بجلباب الرجاء فقط ولا يصح أن يميل ذات اليمين ويتجلبب بجلباب الخوف بل عليه أن يجمع الخوف والرجاء بنفسه ويخرج للجميع .

السؤال الثالث: ما هي اثار الخوف من الله تعالى؟

في خطبة[87]نقرا : [انَّ منْ أَحَبِّ العباد إِلَى الله عَبْدَاً أَعانَهُ عَلى نَفْسه فَاسْتَشْعَرَ الحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ الخَوفَ فَزَهَرَ مصْباحُ الهُدى في قَلْبه وأَعَدَّ القرى لِيَوْمه النَّازل به فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسه الْبَعيدَ وَهَوَّنَ الشَّديدَ نَظَرَ]

الاثر الاول : أن الخوف ساتر

الاميـر(عليـه السـلام)اعطانا هنا وصف جديد للخوف وهو [وَتَجَلْبَبَ الخَوفَ] اي ارتداء الخوف كرداء ، الخوف غطى على كل عيوبه وعوراته .

الانسان فيه ضعف والضعف نقص ، والانسان فيه طمع وحب للشهوات وجهل لنفسه وبربه وهذه كلها نواقص ، وهذه العيوب والنواقص كيفية سترها يكون عبر ما بينه الامير(عليه السلام) وهو الخوف ، فإن الانسان إن اراد ان يستر طمعه وشهوته فلا تفضحه امام الناس والملائكة فليخف ربه ، فالخوف خير رادع وساتر ، الخوف يمنع الانسان من ان يفتضح . فالضعف والنقص شيء طبيعي لذا بقائه في الداخل وستره هو امر ممدوح وليس عيبا ؛ العيب أن يظهر .

في قصة قابيل وهابيل كتاب الله المح لذلك ، فما الذي منع هابيل من قتل قابيل؟ كان كلاهما قادران على ارتكاب فعل القتل فهما من الناحية البدنية وامتلاك القوة كانا سويان الا إن قابيل كان فيه نقص في الروح ، وهابيل كان فيه كمال في الروح ، وهذا ما مكن هابيل ان يستر الاعتداء فأحجم ، اما قابيل فاقدم ولم يستر الاعتداء . كما في قوله : (**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**)[المائدة : 28] هنا الفرق .

فعندما يمنعك الدين عن معصية فأنت قوي ، الجبان هو الذي لا يرتدع عن المعصية ، فالإنسان الضعيف هو الذي يقتحم الشهوات .

فالشاب الذي لا يقدم على تكوين علاقات مع زميلاته خوفا من الله تعالى . قد ينظر اليه المقابل انه جبان ، لكن الحقيقة ان الجبان هو الذي يتجرأ على الرب ، لأنه بذلك يكون ضعيف امام نفسه والشيطان فيما لا يحل .

الفتاة لما ترتدي ما لا يحل من ملابس فهي ضعيفة وجبانة امام الموديل والعصرنة ، فهي قدمت الخواف من كلام الناس ورفيقاتها ، على الخوف من خالق الناس .

اما البنت التي تجلببت برداء الاسلام وقبل أن تتجلبب بجلباب الاسلام هي تجلببت برداء الخوف من الله سبحانه ، فرداء الخوف جلببها برداء الاسلام ، فمن تتعرى امام الاخرين هي في الحقيقة تعرت عن الخوف من رب العالمين . فهذه قاعدة عامة لا يمكن ان نتغافل عنها .

وللخوف من الله تعالى مرتبتين فهناك : (اخاف الله) وهناك (اخاف من الله)فبين الانسان المقتحم للشهوات وبين الانسان المتوقف عندها هو الخوف من الله ، لذا يجب أن لا تغيب عنا هذه الامثولة .

الاثر الثاني : أن الخوف زينة

ومن المعاني الاخرى لتعبير الامير (جلباب الخوف)هي أن الخوف ليس سيء كما سال السائل لان الانسان لا يلبـــــــــس الشيء السيء ، بل الخوف زينة لان الانسان لما يلبس يتزين بلباسه فهو زينة لكم متى ما منعكم من تعدي الحدود ، وزينة لكم متى ما اظهرتكم بالصورة المثلى امام الله تعالى ، فهل هناك اجمل من زينة طاعة الله؟!

الاثر الثالث : الخوف نور للقلب

إذ قال الاميـر(عليه السلام) : [فَزَهَرَ مِصْباحُ الهُدى فِي قَلْبِهِ] ، فهذا اثر اخر من اثار الخوف وهو ان القلب يزهر اي لا يوجد محل للظلمة فيه ، كما في قوله تعالى :(. . .**وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**)[الأنعام : 122]

الاثر الرابع : الخوف يقرب العبد من ربه

إذ قال الاميـر(عليه السلام) : [وأَعَدَّ القِرى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ] ، فالرضا الالهي هو منال بعيد ، بالخوف من الله تعالى يقرب .

الاثر الخامس : الخوف يهون تعب الاتيان بالطاعات

إذ قال الاميـر(عليه السلام) : [وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ] فالطاعة على الناس امر شديد ، كما قال تعالى :(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)[البقرة : 45] ، فالشديد على الخائف هين . لذا اسال نفسك : كثير ما نخاف من قلة الرزق وقلة الحيلة ، نخاف من فلان وفلان ، لكن هل خفنا من الله تعالى؟

سبيل من سبل الخوف؟

إن من الطريق التي تجعل الانسان ممن يخاف الله تعالى هو في حديث عن النبي الاكرم (صل الله عليه واله) قال : "**أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ ، وَأَخْوَفُكُمْ مِنْهُ**" ، أي إن اكثر الناس معرفة بالله اكثر الناس خوفا منه ، وهذا الخوف خوف تعظيم وكبرياء وليس خوف الهرب .

والان نذكر نص من خطب الامير(عليه السلام)يبين فيها ملامح تقشعر لها الابدان قال فيها : [هُوَ اَلَّذِي اِشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ] هنا الامير(عليه السلام)يقول أن رب العالمين في اشتداد نقمته على الانسان هو في ذات الوقت واسع الرحمة ، فكم هو رائع هذا الجمع .

ثم قال(عليه السلام) : [وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ] اي مع أن نقمته شديدة وتوطئته وقبضته عسيرة شديدة الا انه على اولياءه متسعة رحمته ، وهذا وصف دقيق .

ثم قال(عليه السلام) :[قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ ،] اي يحاول ان يشاركه في بعض صفاته الذاتية ، كالعزة اي العز الربوبي .

ثم قال(عليه السلام) : [وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ ،] الذي يشاق الله تعالى اي الذي لا يرعوى ولا يتعبد ما تعبده الله تعالى ، والشقاق هنا العناد الذي يولد الابتعاد عن طاعة الله تعالى – بتعبير اخر – ابتعاد عن طاعة الله بعناد .

ثم قال(عليه السلام) : [وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ ،] في الاصل تكتب ناوئه ، لكن لتلائم نسق العبارات ازيلت الهمزة .

ثم قال(عليه السلام) : [وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ]هنا السؤال مطلق ولم توضع له حدود .

ثم قال(عليه السلام) : [وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ] اي اعطى لله شيء ، وهل يملك الانسان ما لا يملكه تعالى؟! ام هل ما يملكه الانسان هو من ذاته ام من عند الله تعالى؟!! إذ كيف يقرض الانسان شيء لمن عنده كل شيء ، فهذا من تواضع الله تعالى ، ومن لطفه ، وحنانه جل وعلا .

فالذي يتكبر هو الضعيف ، والذي يمن بعطائه هو الفقير ، والذي يرى أن لعمله قدر وقيمة هو المقل الذي لا شيء عنده ، هنا عندما تكتشف عظمة ربك تهابه وتخافه وهذه هي الخيفة بمعرفة التي عرفناها بانها (الخشية) ، وبالمقابل تعالى يقول الذي يعطيني ليجعله قرض سأرده واوافيه له في يوم من الايام .

كلام الامير(عليه السلام) يكشف لنا عن عظمة الله تعالى وهذا موجب لنكون من اهل الخوف ، فمن يتمعن في قراءة هذه الفقرات يجد انه رب غير مرسوم بذهنه منذ قبل لذا العلماء دائما يوصون أن نقرا ما كتبه الائمة عن رب العالمين ، ستجدون الفرق كبير .

ثم لنتأمل في هذه الفقرة (وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ) في كتاب الله نقرا :(**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**) [الحديد : 11] .هنا تعالى يقول للإنسان اقرضني من (وقتك ، مالك ، علمك ، جاهك ، بدنك ، اقرضني ساعة من ليلك ، سويعة من فجرك ، قليل من قلبك ، . . .) هذا الاقراض والاستقراض الله تعالى يقضيه ، وهذا الاقراض بالأصل للناس وليس لله تعالى ، فهو الغني عنا جميعا الا أن رب العالمين تكرم علينا واستقرضنا .

ثم قال(عليه السلام) : [وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ] « الحمد لله » حمده على أوصاف أوجبت حمده .] إن الفرق بين الحمد والشكر ، الحمد ليس بالضرورة على نعمة اسديت لك ، لكن تحمده لأنه كريم واعطى غيرك . اما الشكر على النعمة التي اسديت لك ، ما معناه أن رب العالمين اولا اعطى فطلب الشكر على العطاء ، ومن ثم ازاد الانسان الشاكر على شكره لعطاء ربه عطاء ، فهل

يوجد كرم أكثر من ذلك ، الان ابتداء النعمة منه ، فإن شكرته على ما ابتدائه زاد في عطاءه لك ، فهكذا رب حري بنا ان نهابه ونخافه ، وهكذا فكلما زادت معرفتنا كلما زاد خوفنا ، وليس العكس .

البعض يقول : انا اعرف الله تعالى فلا أخافه! نقول له : انت متوهم فأنت إذا لا تعرف الله ، فمن لا يخاف الله لن يعرف الله ولم يعرف الله ابداً . رب العالمين الذي يفتح افاق السماوات والارض بلحظة هو يقبضها بلحظة ، فالباسط هو ذاته القابض ، الكريم هو المُقتر ، فلا تجعل نظرك على ما يريح النفس فقط فتنظر الى الرب الذي تعرفه على انه كريم ودود منعم معطي ، بل لابد ان تكون نظرتك متكاملة فتنظر الى ما يقابلها من صفات(**أَنَّ اللهّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [البقرة : 196] ، وقوله : (**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَـــــدِيدٌ**) [البروج : 12] ، وقوله : (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**)[الفجر : 14] . قال تعالى : (**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**) [الأنبياء :87] ، (نقدر) هنا بمعنى نطيق .

نبي ومعصوم ولم يقصر بدعوته لله تعالى ، لكن مجرد أن ظن ذلك الظن الصغير ، كان جزائه أن يضيق عليه في ظلمة البحر وبطن الحوت لكذا يوم . ولكن ما انجاه انه كان من المسبحين(**فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ**) [الصافات : 143] ، والتسبيح هو تنزيه الله تعالى ، يعني إنه الفكرة المغلوطة التي كانت في ذهنه أخرجها من باله ، هو نزه الله تعالى عن أن ينظر إليه نظرة أحادية ، ولولا ذلك التسبيح[**لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**][الصافات :144] ، وهذه النقطة مهمة ولذلك المعرفة تقود الى الخوف .

فكثير منا من طلاب الجامعات نجد أن مشكلتهم أنهم ينظرون الى الله نظرة أحادية ، نظرة قريبة على النفس التي تجعله في محطة الراحة .

هناك اسم من اسماء الله تعالى يحتاج أن نتأمله وهو (المهيمن) عندما نرجع الى معنين في اللغة وننظر الى ما قيل فيه (من المهيمن؟) و(على ما يهيمن؟) لو فهمنا ولو شيء بسيط عن هذا الاسم ستتغير أشياء كثيرة في حياتنا الذي لا الليل يدجوك عنه ، ولا النهار يضعك في الزحام عنه ، لا ان بعدت لن يراك ، ولا ان قربت لن يراك .

الاثر السادس : تهذيب النفس

كما قال في خطبة[45] [وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَك وَغَيْرِ فَدَك وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَد جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَته آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ . . .] فالغاية من تهذيب النفس لبلوغ الامن من ذلك اليوم المخيف ، فعندما اتى أحد الانبياء لقومه- كما تذكر قصته في كتاب الله- لم يقل لهم ان الله تعالى رحيم ، كريم ، هو صاحب النعم والالطاف كلها ، بل قال لهم خافوا من الله . كما في قوله تعالى : (**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ . . .وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**) [هود : 84] . ، وهذا التعريف دقيق كما يعرفه اهل المعرفة .

والامير(عليه السلام) يتحدث عن هذه المرتبة من الخوف حيث يقول : المشكلة كلها في هذا القوس ، وهو دائرة النفس فإن المسالة مسالة مغـــــــــــريات ، ونفس غير مهذبة . ولتهذيب النفس طرق متعددة وكثيرة منها :تخويفها من اليوم الاخر (يوم العذاب) ، فالخوف من العذاب هذه اول مرتبة ثم تأتي بعدها

مرتبة أخرى وهي مرتبة الخوف من الله (**إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) [الأنعام :15] اخاف غضب الله تعالى وزجره ، مع ان الغضب والزجر عذاب لكنه ترقي في مسالـــــــــة الخوف لان العذاب الملحوظ به ليس فقط هو النيران والجحيم وسقر . . . الخ .

وهناك خوف على الله من أن يهاجر الله تعالى قلبك ، الخوف من ان ينساك الله (**فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**) [الحشر : 19] ، وقوله :(**وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ**) [الجاثية : 34] . هذا الخوف الذي يعبر عنه (وهبني صبرت على حر نارك ، فكيف اصبر على فراقك . . .)فالحياة التي لا يوجد فيها الله تعالى موت احمر .

لذا القران الكريم مرة يتحدث عن العذاب ومرة يتحدث عن الخوف من الله كما اشرنا الى إن هناك مرتبة اعلى وهو خوف مقام الله عز وجل ، الذي عبر عنه القرآن (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**) [الرحمن : 46] هنا توقف المفسرون عن سبب قول جنتان وليس جنة؟ حيث يقول بعض المفسرين : أن هذا الجزاء على امرين لان الانسان لما يخاف من عذاب الله هو في طريق

وصوله الى الخوف المقامي ، ومرة لا هو خوفه خوف من العذاب ، ولكل مرحلة جزاء .

كما إن كل عمل جزاءه على دافعيته وليس على نيته ، فمرة يعمل الانسان عمل الدافع فيه هو الخوف من العذاب ، هذا العمل ليس فيه شرفية كبيرة ، نعم له شرف لكن ليس كشرف الخوف من مقام الله تعالى ، ومرة لا! ليس يخاف من الله بل الخوف من مقام الله هو الدافع .

ولذلك الشيخ الصدوق في كتاب الخصال(وهو من نفائس الكتب واهمها وادقها في تهذيب النفس للإنسان والاسرة هو عبارة عن مجموعة احاديث) في باب الخمس ص٢٨٢)يذكر انواع الخوف إنها : (**خوف وخشية ووجل ورهبة وهيبة . فالخوف للعاصين المذنبين ، والخشية للعالمين ، والوجل للمخبتين ، والرهبة للعابرين ، والهيبة للعارفين العاشقين**) ، يعني اول مرحلة هي الخوف ، لذا من العيب على الانسان أن لا يملك المرحلة الاولى ، بل عليه أن يرفع سقف طموحه ليبلغ المراتب الاخرى .

لذا الأمير (سلام الله عليه) يتحدث عن الخوف من العذاب ، لذا فمرتبة الخوف من مقام الله جزائها يختلف ، نعم كلاهما محركية إلا أن المحركية تختلف من مستوى لأخر على

أختلاف النوع والكم -كما سنبين حيث قال أبو عبد الله (عليه السلام) : "**يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك ، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**" . (الكافي : ج ٢ - ص ٦٨)

فهذا الخوف هو خوف مقامي لا خوف العذاب الذي عبر عنه القرآن بأنه مقام ربه ، فالمطلوب اولا أن تخافه وكأنه يراك ثم ترتقي بمستوى تفكيرك الروحي ، وهذه عبارة ليست للعقول فكل العقول الموحدة سواء كانت مسلمة او نصرانية او يهودية تؤمن أن الله تعالى يراها ، ولكن هذه العبارة للقلوب اي استشعارها بالقلوب ، فما قيمة أن تعلم بشيء ولا تعمل له ، ما قيمة أن تذعن لشيء ولا يذعن العمل له ، لا قيمة له! انما المراد هنا هو تحريك القلوب اي يا ايها الانسان ترقى على مستوى العمل اجعل افعالك تكشف انك ترى الله تعالى فإن كنت لا تراه ولا تتمكن أن تصل لهذه المرحلة من دون ان تؤمن بالمرحلة الثانية .

فان كنت لا ترى أنه يراك وهو يراك فعدم العلم بالشيء لا يغير الحقائق ، فالجهل بالحقيقة لا يغير الحقيقة ، وعدم إيجاد الشيء لا يعني عدم وجود ذلك الشيء ، يعني الذي لا يذعن لحقيقة أن الله يراه هذا لا يعني أن الله تعالى لا يراك ، يوم القيامة سيكتشف الانسان أن ليس الله تعالى يرى الانسان ومطلع عليه بل حتى بعض الانبياء والاولياء كما قال تعالى : (**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**)[التوبة : 105] ، الفاء اذا رفعت واصبح سيرى سيتحقق هنا فرق وهو إن وجود الفاء افاد لنا افادة عميقة وهي أن الله يراك وانت تعمل وليس بعد أن تعمل ، وهذا ليس فقط يخيف بل يخجل ، وانت متلبس بالعمل وليس بعد أن ينفك عنك التلبس عن العمل ، وهذا فرق دقيق .

ومن هنا يمكن أن نقول أن الفرق بين المستقيمين والصالحين عن غيرهم هي انهم يملكون نظرة لربهم غير النظرة التي يملكها غيرهم فهم يرون أن ربهم يراهم وان كانوا لا يروه .

لذا فكلما تعمقت معارفنا بالقلب كلما اثرت في القالب ، وما زالت المعارف موجودة في الاذهان فقط ، فهي عبارة عن مصطلحات والألفاظ فقط لا قيمة لها ابدا ابدا ، بل هي وبال .

القران يضرب لنا مثل في هبوط قيمة الانسان بانه(**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** . . .)[الجمعة : 5] إذ ينقل أن شخص كان يرعى الغنم في زمن النبي(صل الله عليه واله) اتى اليه مجموعة من الرجال قالوا لمن الابل؟ قال : لسيدي ارعاها ، قالوا له : الا تبعنا شات قال : هي ليس لي . قالوا : ومن يعلم ، قال : هي لسيدي . قالوا هو لا يعلم ولا يرى؟ قال : فإن لم يكن يراني فاين الله؟" .

فهذا درس لنا جميعا لو سألنا هذا السؤال قبل كل عمل وقلنا اين الله؟ من عملنا هذا لتلذذنا بها ، ولتغييرت جوانب كثيرة من حياتنا لأننا سنعرف هل ما نقوم به حسن او سيء .

الاثر السابع : تحقيق اليقين

من اثار ومستويات الخوف الاخرى التي يبينها لنا الامام ، والشيء الذي لا بد أن نبينه إننا لا نخاف من الله الذي يمسك علينا سوط او من الله الذي يمسك سيف على رقاب الناس ، لا! نحن نخاف الله الرحيم الودود ، فلا يمكن لنا أن نفرق صفة من صفات الله لان صفات الله ذاتية حسب مذهب أهل البيت هي لا تنفك عن الذات الالهية بالوقت الذي هو شديد العقاب هو غفور رحيم اي نخاف فقط او نرجو فقط .

هنا خطبة[108] يقول الامير(عليه السلام) [وَلاَ يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ] فدعائك لله عطاء من الله تعالى وتوفيق ، وكما نقرا في الدعاء" **الحمد لله أن وفقني لأدعوه** " ،فليس كل الناس تدعوا الله تعالى .

ثم قال(عليه السلام) : [وَلاَ يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ] فهذه الاوصاف تجعل الانسان يستشعر إن هناك رب عليه أن يراعي وجوده في حياته ، وهذا التعريف العلوي يفرض على الانسان أن يخافه ويهابـــــــــه ويرعاه .

الامير(عليه السلام) ينتقل بنا في قصار الحكم قال : "**ولا مصيبة كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة اليقين ، ولا قلة يقين كفقد الخوف ، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف**" .(بحار الأنوار : ج ٧٥ – ص ١٦٥) . ، احيانا يكون الانسان صاحب عقل ، ولكن لا يوصله عقله لليقين ، وهنا قلة اليقين بمقداره فقد الخوف ، وهنا لسببين عبر عنه بالفقد :

الاول : عادة لما تعبر عن شيء بأنه مفقود دليل على كونه عزيز ، كما وان المفقود عزيز لأنه قريب على النفس ، وهذا ما اشار اليه الاميرعليه السلام) بأن الخوف جلباب الانسان .

السبب الثاني : عادة يعبر عن بالفقد عن الشيء الذي هو موجود ثم فقد ، حيث لا يحصل الفقد دون امتلاك مسبق . والخوف موجود في جبلة الانسان الفطرية ، حيث وضع فيه الوجل والخوف ، لأنها من نقاط الضعف التي تعطي قوة ، فنقاط الضعف انما هي لصالح الانسان .

وقال(عليه السلام) : " **ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف** " وكأن الاميرعليه السلام) يقول خافوا أن لا تخافوا ، علينا أن نخاف إذا ما خفنا من الله تعالى ، فكل خوف مذموم إلا الخوف من الله تعالى ، وقلة الحزن على قلة الخوف ، قلة عقل وقلة دين ، هنا أسال نفسك : هل لديك هذا الخوف؟ أن لا تخاف الله شيء جميل ولكن إذا كنت من اهل الذنوب ولا تخاف فهذا موجب للخوف على النفس من الضياع .

لذا فالخائف عليه أن يفرح بخوفه ، بلى . وهذه من اللطائف العجيبة في علم الاخلاق يشير لها الاميرعليه السلام) في قصار كلماته ، كمثل الظلام ضوء ، والليل نهار ، كذلك الخوف

من الله باطنه امان مع الله وسلام . لذا لدى العالم والازمة الكبرى لماذا؟ لان الخوف من الله غير موجود (**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**)[قريش : 4] .

اذن رأينا كيف أن الامير(عليه السلام) قد شخص الداء والدواء ، فكلما خفت من شيء فهذا يعني انك ينقصك الخوف من الله تعالى .

ولذلك يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :" **من خاف الله أخاف الله منه كل شئ ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء**"(الكافي : ٢ / ٦٨ / ٣) .لذا هذه هي النقطة الاساسية ابتدأ بالخوف من الله تعالى لتصل الى الامان مع الله .

◇ 》 الفصل الرابع: مواعظ عن الامل

مقدمة

كثيرا ما نشتبه مع بعض المفردات كمفردة الامل ، فيأتون أهل البيت ويعطونا القول الفصل فعندما نرى المصطلح نعرف متى يكون الامل ممدوح ومتى يكون مذموم . إذ أن من أهم وضائف الامام المعصوم هي تبين حقائق الاشياء لأننا في كثير من الاحيان نتعامل مع المفردات من جانب وقد نغفل عن الجوانب الاخرى . فأهل البيت من أهم ميزاتهم أنهم يركزون ويسلطون الضوء على كل الحقيقة حتى تنكشف ماثلة امام اعيننا .

لذا لنرى ما قاله الامير(عليه السلام) في **خطبة** [147] (الغاية من البعثة)[وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ] ، هنا (إن) اداة حصر ، في كون هذا هو السبب لهلاك من قبلكم . ثم قال [وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ] الان ما هي العلاقة بين طول الامل وتغييب الاجل؟ هل هي علاقة مقدمة ونتيجة أم كلاهما مقدمتان لنتيجة التي قدمها الامير(عليه السلام) وهي الهلاك؟ وماذا يراد بالهلاك؟ هل يراد منه الهلاك المادي الدنيوي ام الاخروي؟

ثم قال(عليه السلام)[حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ] هذه العبارة تشير الى وجود غفلة إذ أن هناك موعدا اعطي إلا أنه بطول الأمل قد غُفل عنه .

ثم قال(عليه السلام)[الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ] وهذه العبارة انيقة صدرت من الامير(عليه السلام) حيث يقول سيأتي يوم من الأيام هو اليوم الموعود عندها لا تقبل المعذرة ؛ فتعالى يقبل عذر الانسان في كل وقت وفي كل حين وكل حال ، لكن عندما يقع ذلك اليوم الذي وعدنا به وهو يوم القيامة هنا ينقطع العذر ولا تنفع الاعذار ولا تسمع .

ثم قال(عليه السلام) : [وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ] أذ بلغت الروح التراقي لا تنفع توبة ، بل [وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ] هنا الامير(عليه السلام)كشف لنا وجه من اوجه الامل المذموم . اما كيف تكون لنا نظرة كاملة؟ فإن الامل رحمة وحياة وخير مؤنس وخير عمل ، هذه كلها صفات ومواصفات الامل الممدوح ، فعنه(عليه السلام) إنه قال : "الأمل رفيق مؤنس" (غرر الحكم : ١٠٤٢) .

إذ ينقل عن النبي الاكرم عبارات رائعة تحتاج أن نتأمل بها ونتذوقها إذ يقول(صلى الله عليه وآله وسلم) : "**الأمل رحمة لأمتي ، ولولا الأمل ما أرضعت أمّ ولدها ، ولا غرس غارس شجراً**" (بحار الأنوار ، ج74 ، ص 173) ، فتعالى انعم على امة النبي بمجموعة من النعم والرحمات واحدة منها هي الامل .

النبي الاكرم يبين أن أما لو لم يكن لها امل بأن هناك ثمرة ونتاج طيب ، لما صبرت وتحملت أتعاب الامومة ، والزارع كذلك لو لم يتأمل خيرا بهذه البذرة لما بذرها لأنه لا يرى شيء امامه ، فلو تأمل كل منا لوجد إنه لولا الأمل فعلا لا يمكن ان يعيش ويستمر في مساعيه ، بل سيعيش حالة من الضيق النفسي .

وكما ينقل إنه رأى النبي عيسى (عليه السلام) شيخًا يعمل بمسحات يثير الأرض ، فقال عيسى (عليه السلام) : "اللهم انزع منه الأمل" فوضع الشيخ المسحات اضطجع ، فلبث ساعة ، فقال النبي عيسى(عليه السلام) : "اللهم اردد إليه الأمل" فقام فجعل يعمل ، فسأله عيسى (عليه السلام) عن ذلك ، فأجاب الشيخ : بينما أنا أعمل ، إذ قالت لي نفسي : إلى متى تعمل ، وأنت شيخ كبير؟! فألقيتُ المسحات ، واضطجعت ، ثم قالت لي نفسي : والله لا بدَّ لك من عيش ما

بقيت ، فقمت إلى مسحاتي" . (بحار الانوار ، ج14 ، ص 329 .)

فعندما لا يرى الانسان أن هناك املا بعمله يرتجى ولا يرى امل بوجوده في هذه المساحة ينهد ركنه ، وتضعف قواه ، ولكن عندما يؤمن أن هناك فسحة أمل كما قال الشاعر : (**أعلّل النفس بالآمال أرقبها*ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل**) (مستدركات أعيان الشيعة : ج1 ، ص 215 .)

ولذلك يمكن أن نقول إن هناك أمل فلنسميه "**الامل الموفق**" ، وهناك في قباله "**امل غير موفق**" ، فعن إمامنا زين العابدين(عليه السلام) في احد ادعيته يقول :" **اللهم رب العالمين وأسالك من الآمال اوفقها**" اي اكثرها دافعا للعمل ، اما ما هو الامل الموفَق(بالفتح)؟ اذا اردنا أن نعرفه بشكل دقيق فلنكسر الفتح ونجعله الامل الموفِق اي الامل الدافع الذي يدفع الانسان للعمل ، لا الامل الذي يدفع الانسان للكسل والجلوس .

لذا إن كنت ممن في نفسه حالة النظر والتطلع الى المستقبل بعين الامل ، وهذا الامل جعلك تعمل وتنشط ، فهذا الامل هو الامل الموفِق ، اما اذا كان خلاف ذلك فهذا امل كاذب لا

قيمة له ، وهذا هو الامل الذي يتحدث عنه الامير(عليه السلام) في المقطع الاول من خطبته ، هذا هو الامل الذي لا يُرغب به بالنظرية الاسلامية .

فلو قارنا بين النظريات الاخرى ونظرية الاسلام لوجدنا أن نظرية الاسلام هو "**نظرية الامل**" لأنها تنص على وعد بأن تكون نهاية العالم الى خير وسلام وآمن ، الى تأسيس دولة لا ظلم بها ولا بطش ولا قهر ، ولا أي شيء سيء ، والذي نسميه بمنظومتنا الاسلامية "**بدولة العدل الالهية**" . فهذا هو الامل المرتقب مع أنهم يدعون انهم ذو نظرة استشراقيه للمستقبل إلا انهم لا يؤمنون بها ، ولا يؤمن بهكذا نهاية للعالم .

ولذلك نحن نؤمن بنظرية القرآن الكريم التي يقول فيها ربنا جل وعلا ولقد (**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**) [الأنبياء : 105] ، فهذا هو الامل الذي لا يوجد عند غيرنا ، فمع كل هذا الظلم والبطش الا أن في النفس هناك أملا ونشاطا لأننا مؤملون .

فلو سأل سائل : هل انت راضي عن واقع المسلمين؟ فإذ كان ذو عين باصرة يقول : لا .

وقد يعترض عليه السائل قائلاً : بأن المسلمون يعيشون بين تهافت في العمل ، وعدم تطبيق لـــــــــــــلإسلام ، فيقولون شيء ويعملون بأشياء اخرى ، لذا لم تأمر وتعمل؟ الجواب لأنني املك أمل قادم كما قالت آيات الكتاب عن امل نبي الله يعقوب : (**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**)[يوسف : 87] ، وقوله تعالى : (. . . **لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّهِ**)[الزمر : 53]فنحن يعقوبين ننتظر يؤسفنا كل حين ، فالآملون عاملون ، فهذا الامل الموفق يدفع الانسان للكدح والعمل .

الأمير(عليه السلام)في خضم ما كان يعيشه من فتن ومعارك وشقاقات وإنشقاقات إلا أنه في كل يوم يصعد على المنبر ويُعلم الناس تعاليم الاسلام ، لماذا؟ لان هناك أمل قادم . هذه الكلمات لو لم يكن عند الامير(عليه السلام) امل بمن سيأتي بعده لما تحدث بها .

هل تظن ان الامير(عليه السلام)كان تحت منبره يسمعون بقلوبهم! انما الامير(عليه السلام) كان يتحدث والناس تحت منبره تلعنه وتشتمه لكنه بقي يتحدث لان هناك أمل قادم كما

قال في إحدى خطبه : [سَيَرْعَفُ بِهِمُ اَلزَّمَانُ] (نهج البلاغة : ج ١ – ص ٤٤) .

اذن انت ايها الفرد عليك أن تحمل الامل في داخلك الذي يدفعك للنشاط والعمل وخصوصا إذ كنت تريد أن تكون من اهل العمل ، فإن الله قادر على كل شيء ، انت سواء كنت فقير...مبعد...معزول...لا تجد من يسمعك ، لا تجد من يرأف بك ، تمعن في هذه الرواية إذ قال الصادق(عليه السلام) : "**أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ ، إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ، إلاّ قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته ، ولم أبال بأيّ واد هلك**" (الكافي 2/63) .

لذا اينما كنت كن من اهل هذه الآية (**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) [الأنعام :79] توجه اليه بقلبك لا بظاهرك ، فمن ينوي الاعتصام بالله تعالى يعصمه ، ومن يعصمه الله لا يخاف لو وقعت السماوات والارض . ألم تسمع قول الله تعالى :(إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) [الدخان :51] ، فالتفت الى أن توجه وجهك وتعتصم بربك فهذا من بواعث الامل في النفس ، بل تكن ممن ظفر بالوجه الحقيقي للأمل .

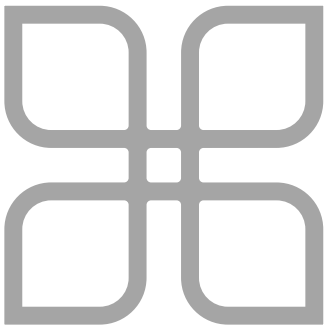

خطبة [٤٢][أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلاَ وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ] .(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 1 ص 218) .

هنا الامير(عليه السلام) يبين لنا كيف يمكن لنا أن نتعامل مع الامل ، وكيف يمكن للأمل أن يكون سبب لنسيان الاخرة او تذكرها ، إذ لدينا هنا ثلاث مفردات(الاجل والامل والعمل) إذ إن الامل متوسطا بين الاجل والعمل ، فإن كانت نهايـــــــــة الانسان غير موفقة فهذا يعني أن الامل كان موجود ولكن العمل غير موجود ، هنا الامل يصبح سيء غير مؤنس بل خائن ، لكن اذا تحقق الامل وحصل العمل فأن مجيء الاجل

سيكون طيب لان الخاتمة ستكون طيبة ، فيكون الامل كما عرفه الامير(عليه السلام) عرفه بأنه رفيق مؤنس .

وفي بعض الاحيان الامل يجلب العمل ويجعل العامل بين الامل وأجله فيأتي الاجل والانسان في عمل . فمن ادق عبارات الامير(عليه السلام) في قصار كلماته هو : "الامل حجاب الاجل" ، لان الامل اذا طال من دون عمل كما عبر الامير(عليه السلام) يُقعد الانسان ، والنبي الاكرم ايضا يشير لذلك :" **واللهِ لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**" .

لذا فإن دفعك الامل للعمل للأجل فانت بخير ، وانت من اهل الامل الموفق ، وإن دفعك الامل للا عمل للأخرة فأنت على شر ، واملك هذا امل سارق .

إذا الاجل والعمل والامل ثلاثية مهمة علينا التعامل معها بدقة لكي لا يكن الامل حاجب للأجل بل دافع للعمل لها ، لأن البعض فكرة الاجل عنده كفكرة محال تحققها وكل ذلك بسبب الامل الطويل . كما في كتاب الله تعالى يقول (**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**) [الحجر : 3] ، إذ قال [فرب مستقبل يوم غير مستدبره . . .] . فكثير ما نرى

أناس يستقبلون يومهم ولكن لا يستـــــــــــدبروا لأنهم يموتون قبل نهايته ، او إنسان مغبوط على ما عنده من رزق وقد يكون قد حان وقت رحيله وسيفارق ما هو مغبوط عليه .

وهذا يشير الى أن نظرة الانسان لوجوده في هذه الدنيا هي نظرة بعيدة لكن الاجل قريب ، والمطلوب ان تكون النظرة ابعد من الاجل ، وهذا ما وضحة النبي (صل الله عليه واله) ان الانسان أجله اقرب من عمله ، وكما في قوله تعالى : (**إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْـــــــتَقْدِمُونَ**) [يونس :49] ، فمن لا يتعايش ولا يستشعر قرب الاجل حتى مع نفسه ، هذه قد تكون من العقوبات الالهية ، فطول الامل يعني الغفلة ، والغفلة قد تكون ابتدائية من الانسان وقد تكون عقوبة .

ففي رواية عن النبي (صل الله عليه واله) في الدر المنثور ان أدم قبل ان يصيب الذنب كان اجله بين عينيه ، واامله خلق اجله ، فبمقدار ما يكون الاجل امام عين الانسان ابتعد الانسان عن ارتكاب الذنوب ، وكلما قرب الامل وابتعد الاجل تراكمت الذنوب ، فلا يوجد عقوبة اشد من عقوبة نسيان الاجل ، فلما اصاب الذنب جعل امله بين عينيه واجله خلفه ، فلا يزال يؤمل حتى يموت ، فأنظر من اي الصنفين انت ؟